المحاورات الأدبية

د. لويس عوض

المحاورات الجديدة

أو دليل الرجل الذكي الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة
والنشر ببيروت

الطبعة الأولى : روز اليوسف الكتاب الذهبى ١٩٦٥
الطبعة الثانية : دار المستقبل ١٩٨٦

مقـدمة لابد منهـا

فى الثالث من يونيو ١٩٦٥ اشتركت فى مهرجـان الادب الذى اقامته محافظة الدقهلية بمدينة المنصورة ، وتكلمت فى نـدوة حية اشتركت فيهـا مـع الدكتورة بنت الشـــاطىء والاستاذ محمد زكى عبد القادر والاستاذ محمود العالم ، وكان موضوع هـذه النـدوة « لقاء الثقافات » والحق ان موضوع النـدوة الـذى اختاره لنـا أدباء المنصورة الشبان كان فى حـد ذاته موضوعا ذكيـا يـدل على حذق كبير فى اختيـار الموضوعات ، لآسيما وان المتكلمين كانوا يمثلون بقـدر عددهم مختلف تيارات الفكر من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، ولم يكن ينقصهم الا اثنـان ليمثلوا كل الـوان الطيف أو ثلاثة ليمثلوا كل درجات السلم الموسيقى .

فلا غرابة اذن ان كان اجتماع هؤلاء المتحدثين فى حـد ذاته « لقـاء ثقافيا » من نوع فريد ، ولست استبعد ان اهـل المنصورة الاذكياء قد تعمدوا ان يرتبوا هـذا اللقاء ليظفروا بجلسة مثمرة ، والـذى ندبهنى الى هـذا انى سعدت قبـل النـدوة بالتعرف للمرة الاولى الى فضيلة الاستاذ محمـــد

الغزالي وأتيح لنـا ان نتبادل الحديث خلال ثلاث ساعات قبل بـدء الندوة ، من الغداء الى الاصيل فى أمـور الفكـر والثقافة وأمور الدنيـا والدين ، وانضم الينا الاستاذ محمد زكى عبد القادر ، ثم اكتشفت ان ذكيـا من أذكياء المنصورة سجل كل مادار بيننـا من حوار على ريكوردر على غير علـم منـا • وققـد اختلفنا قبـل النـدوة واثناءها بمـا أرضى كل الاتجاهات الفكرية على وجـه الارض • وليس هنـاك مـا يـدعو لان اعيـد ما قاله القائلون او ان اتحمل مسئولية عرض افكار الغير فقـد اتهم بتشويشها • ولا سيما ان الامر تعقـد بعـد النـدوة الرسمية حين حمل اهـل المنصورة ضـيوفهم القاهريين نحـو منتصف الليل فى ركب من السـيارات الي مصيف جمصة فوجـدت نفسى على رمال الشاطىء بين عبـد الرحمن الخميسى وصلاح عبد الصبور وأحمـد حجـازى والدكتور عبـد القادر القط والدكتور عز الدين اسماعيـل وفاروق خورشيد ورجاء النقاش وعبـده بـدوى وعامر بحيرى وعباس خضر • وعـدد عظيم من الادباء والمتأدبين • وكثـر اللغط وتفرق وتجمع وتشتت فى الرياح ورفرف بأجنحـة فى الظلام على امواج البحر الابيض المتوسط ثم تلاشى الى الابد

ولكن الذى لفت نظـرى فى كل هـذه المناقشات هـو نـوع الاسئلة التى كان يوجهها الينا شباب المنصورة ، وهم

بغير شك يمثلون قطاعا من شباب مصر ، فقد كان أكثر هذه الاسئلة اسئلة حائرة تريد ان تستطلع معنى « الرجعية » و « التقدمية » وتريد ان تستوضح حقيقة دور الاستعمار فيما يسمى عادة بالغزو الفكرى أو الغزو الثقافى ، ولانى أحسست بأن هذه الأسئلة الحائرة تعبر عن أشياء كثيرة عامة فى نفوس عدد كبير من الشباب الذين يسمعون هذه الالفاظ والعبارات تتطاير كالشرر دون ان يعرفوا لها معنى محددا ، فقد دفعنى هذا أثر عودتى الى القاهرة ان اتشبه بما فعله برناردشو ، فأكتب « دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » • أكتبه من وجهة نظرى وفى حدود علمى وبوحى ثقافتى وتكوينى النفسى وربما من زاوية رجل تجاوز الخمسين جذوره الاجتماعية فى الطبقة البورجوازية المهنية والبيروقراطية التى أنقذتها الثقافة الانسانية من فردية المهنيين ومن تقليدية البيروقراطيين • وانا أذكر كل هذه المواصفات عن نفسى لاعتقادى أن للبيئة دخلا كبيرا فى تشكيل افكار الانسان واستجاباته ، بل ومقومات شخصيته الاساسية •

وبعد ان عدنا الى القاهرة قال قائل : ولماذا لا تنقل ندوات المنصورة التى دارت فى مدرسة ابن لقمان وفى فندق الاكروبول وفى سيارات المحافظة وعلى بلاج جمصة فى صورة

محاورات جديدة مفتوحة تتدارس فيها كل هذه الآراء ، وربما انتهينا الى شيء ينفعنا وينفع الناس ؟

قلت : لا بأس ، ولكن بشرط واحد : وهو أن تسود روح جمصة فى القاهرة ٠

قال : وما روح جمصة ؟

قلت : الا تذكر ليلة كذا تحت الخيمة العظيمة ، وهى أعظم من خيمه السرك ، ويسمونها الكازينو فيما أعتقد ، وكنا نستشرف البحر المالح ونأكل الكباب والدجاج حتى الفجر ، والى جوارنا سبعة من طهاة المنصورة وسفرجيتها يشوون لنا اللحم بأمر المحافظ على الطريقة السكسونية التى يسمونها طريقة « الباربكيو » أو الشواء الدائر فوق النار دوران محمصة البن ؟ كنا ساعتها نتجادل طويلا وعميقا وخطيرا ولكن فى هدوء ، لان رائحة الشواء التى جاءتنا على أجنحة النسيم السارى من أرخبيل ايجة طمأنت قلوبنا وسكنت أعصابنا كأنها انغام من مزامير كاريا أو الحان من قيثارة أيولية عزفت على أوتارها أنامل ايوليوس رب النسيم ٠ وانتم أدباء القاهرة ، ملتهبون ، ونحن فى يونيو والحر لا يطاق وكل موضوعاتكم ملتهبة ، فاذا وافقت ووافق الجميع ان يتم كل شيء فى ابتسام ، تجادلنا وتحاورنا الى ما شاء الله ٠

فالغضب ممنوع والزعل مرفوع ، ولا أظن اننـــا مستطيعون ان نحل مشاكل الانسانية فى جلسات ٠

قال : موافق ٠

وقالوا : موافقون ، بشرط ان نخلط الجـد بالهزل والهزل بالجـــد ٠

قـلت : ٠٠ ما الى هـذا قصدت ، فنحن لن نتكلم الا جـدا فى جـد ، ولكننـا سنقول كل شىء فى ابتسام ، وحتى لا يغضب احـد سنستعمل الاسماء المستعارة ، ولن ننسـب اى راى الى قائله بالاسم والرسم حتى يزول الاحراج وتنبسط تحت الاقنعـة الاساريير ٠ ومـا دمنـا فى القاهرة ، وكل منـا الى جوار مكتبته العامرة ، وعلى بعـد اتوبيس من دار الكتب ومكتبة الجامعة ، فهـذه فرصة ذهبية لان نحقق كل ما نقوله ونضبطه على مراجعه ٠ واذا أقتضى الامر دعونا من نشـــاء من الخبراء الاجانب ، من افلاطون وارسطو الى ت٠س ٠ اليوت وجان بول سارتر ، بشرط ان ينصرفوا ويعودوا الى بلادهم بمجرد اداء مهمتهم والادلاء بشهادتهم حتى لا تتحول ندواتنا القومية الى مؤتمر لا يعلم عواقبه الا الله ٠ أقول لا بـــد ان يعـــودوا الى بـلادهم فور انتهـــائهم من عملهـــم ، فبعض هـؤلاء تروقـــــه ميـــــاه النيل أكثر مما تروقه ميـاه التيمس والســـين والهدسون

to: www.al-mostafa.com

والفولجا والراين واليو فيتشبث بالاقامة بيننا ولو بدون تصريح ثم يدعو أسرته وعشيرته وأخيرا أمته الى الارتواء من ماء النيل فيغترفوا منه حتى يجف شريان مصر • فما بالكم بخبراء البلاد التى ليست بها أنهار ؟

وأخيرا أرجو الا يمانع احد فى استحضار اشباح الادباء والاجداد من أبوبير وبنتاؤور ـ الى العقاد ومحمد مندور ـ أنا مثلا احب أن أستحضر روح المعرى وابن خلدون لاناقشهما فى بعض ماقالاه ، وهذا حق متاح للجميع ، ولكن أيضا بشرط ان يعود الاسلاف الى اكفانهم وقبورهم بمجرد انتحافنا بآرائهم السديدة أو السخيفة ، حتى لا ننفصل عن القرن العشرين وحتى لا يتكاثروا علينا ويملاوا قاعات سميراميس وشبرد ومنتدياتنا الادبية والفنية فنجد أنفسنا ـ فى مجمع الاشباح وكأننا فى الموقف ، ـ فبعض هؤلاء الموتى أراذل يتشبثون بالحياة ولا يكتفون بعمرهم ولكن يريدون أيضا ان ياخذوا عمر غيرهم •

قالوا : موافقون هل لك شروط أخرى ؟

قلت : نعم ، ان يشترك معنا فى الحوار ادباء القاهرة وفنانونها ومفكروها الذين تخلفوا عن حضور مهرجان الادب فى المنصورة ، مثل أعضاء المجلس الاعلى لرعاية الفنون

والآداب وهيئات تحرير مجلات وزارة الثقافة ومن شاء من أعضاء المجمع اللغوى والفنانين التشكيليين ورجال الموسيقى الخ • فبعض هؤلاء غاية فى التسلية ولا سيما دعاة البعث العثمانى ، ومن يؤمنون بتحقيق الوحدة العربية عن طريق نشيد « أنت عمرى » كما حققت ملينا مركورى الوحدة العالمية عن طريق « فى يوم الاحد مستحيل » وذلك المعمارى العظيم الذى يدمن باخ وفيفالدى ويشترط على وزارة الاسكان هدم جميع مبانى القطر واعادة بنائها بقباب بيزنطية ومشربيات مملوكية •

وبعد ان فرغنا من كل هذه المداولات الاجرائية كان السؤال الاول بالبديهة هو : كيف نبدأ ؟ واين نبدأ ؟

قلت نبدأ بالماسكات أو الاقنعة • مثلا فلان وفلان وفلان من خيرة شبابنا المثقف العاكف على الآداب والفنون ، ولكنهم فى الواقع ليسوا أدباء ولا فنانين ولا فلاسفة بعد ، ونرجو ان يكونوا كذلك بعد عشر سنوات • لهذا سأكتفى بنماذج أو عينات منهم حتى لا يشوشوا على محاوراتنا بكثرة الصياح وحماس الشباب • سأكتفى بفلان وهو صبى ادباتى فى شئون الشعر والنثر وذلك القالب الثالث الذين يسمونه الدراما وسأكتفى بفلان وهو صبى نقاش استهوته البوية فاشترك فى اتلييه القاهرة وذهب يلطخ القماش

بالتبقيع والتجريد والتجسيد والتكعيب والتلعيب بدلا من تلطيخ الجدران ومن آن لآخر يلعب بالحجر والخزف والخشب فيدق عليه بالازميل ، ويسنفره • وسأكتفى بفلان وهو صبى زمار قضى صباه فى درب العوالم المتفرع من شارع محمد على حيث اكاديمية الزمارين ثم خالط بعض الخواجات فى جازباند الكورسال والكونتننتال فضحكوا عليه واغروه بآلة مضحكة تسمى الكلارينيت قبل ان يبلغ العشرين ، واعجبه لبس السموكنج فأطلق شعر راسه ودخل الكونسرفاتوار ولكنه كان دائما يخلط بين كونشرتات موزار ودقات « أيوب المصرى» فنصلوه وقرر آن يحترف التأليف الموسيقى الذى يصلح لخصر عدى شمس الدين ، ولاوركسترا القاهرة السيمفونى فى وقت واحد ، فعين فى لجنة الموسيقى بالمجلس الاعلى للفنون والآداب •

وكان معه فى صباه غلام ، وهو صبى قرداتى ـ واخته الصغرى آكلة النار مثله من درب العوالم فى سن البلوغ واشتغلا بمهنة البلياتشو على البيادولا فى شارع ألفى دك سنتين أو ثلاثا وكان خيالهما نشيطا كعضلاتهما فدخلا معهد البالية ودرسا على يد الخبير الروسى جوكوف الذى لاحظ ان مشية تشارلى شابلن فى ألفى دك قوست ساقيه تقويسا عضويا أو نفسيا ، وان أرداف اخته ثقلت بسبب اكل

التشويهات والمفتعلة فأحالها الى الخبير الروسى رامازين الذى عجز عن تقويمهما وتشاجرا معه واتهماه بمعاداة القوميـــــة العربية لانه يصر على ان يكون الرقص بالرجلين واليـــدين وحدهما دون اشتراك الخصر ، ولما انتصر رامازين عليهما فى هذه الازمة عادا واتهماه بمعاداة الاشتراكية والفن الشعبى ، لان شعبية الفن فى مصر دعامتها الاساسية تشغيل الجزء الاوسط من جسم الانسان • وهو لم يخرج بعد من هذه الورطة وانما ينتظر ان تسحبه حكومه الاتحاد السوفيتى لانه لم يفهم تماما كتاب ستالين فى المسألة القومية •

وبعد صبى الادباتى وصبى النقاش وصبى الزمـــار وصبى القرداتى وصبية البلياتشو ، هناك فلان وهو صبى فلفوس يدعو للجوانية والبرانية معا ويمضغ اسماء كثيرة غريبة من امبادوقليس الى ثراسيما خوس ومن الاكوينى والبرت الكبير الى هولباخ وكوندورسيه وقد استطاع ان يوقف قمة الهرم الهيجيلى المقلوب على قمة الهرم الماركسى المعدول فبدا الهرمان فى شكل هندسى طريف شبيه بوضع أولاد عاكف فى التمرين المشهور حيث يلتصق الراسان • وغير هؤلاء صبيان كثيرون وكل هؤلاء ليسوا بحاجة الى اقنعة لتخفى شخصياتهم لان شخصياتهم لم تتكون بعد أو تتضح فيها ملامح مميزة •

ولكن المشكلة الحقيقية كانت فى اعلام الكتاب والفنانين. كان لابد ان اصنع لهم ماسكات يخفون وراءها ملامحهم ، فذهبت الى أمهر صانع اقنعة فى القاهرة ، وكان هو نفسه احد هؤلاء الاعلام ، وربما كان علم الاعلام ، وكانت هوايته الاولى ان يصنع الماسكات للآلهة وانصاف الآلهة والابطال رجالا ونساء ، وكان دكانه فى برج عاجى ، فلما سمع المظاهرات بقيادة ابن سيركوف . وابن ماركوف يعلو لغطها ويرتفع هتافها : فلتسقط الأبراج العاجية ! فليسقط الفن الانعزالى ! نريد ماسكات ، نريد ماسكات ! الفن للمجتمع ! الماسكات لابناء الشعب الا ماسكات لابناء الذوات . خاف أن يحرق المتظاهرون دكانه ، أو على الاقل ان يقتحموا عليه برجه العاجى فيتحول الى اسطبل ، فأخذ يصنع الاقنعة لكل من هب ودب ويوزعها على الجماهير ، وكانت اقنعته طبعا من نوع ردىء والاغلب انه كان يصب المصيص فى قالب واحد او قالبين ، ولكنه نجح على العموم فى اسكات المتظاهرين فانصرفوا عنه وتركوه يعمل فى سلام .

قال صانع الاقنعة : لا تقدمنى يا حبيبى فى مشاكلك ، انا رجل مسن واحب الهدوء وقد نجحت الى حد كبير خلال ثلاثين سنة من العمل المتواصل فى ان ارضى جميع الناس اليمين واليسار والوسط ـ ولو انى ساعدتك فى صنع اقنعة

لادبـاء مصر وفنانيها لاغضبتهم منى ... هيـا اصنع اقنعتك بنفسك ، وتحمل مسئولية عملك .

قلت يائسا : ولكنها ستكون اقنعة رديئة لا توافق مـا وراءها من وجوه ، أو أقنعة شفافة تبـدى كل مـا تحتهـا من ملامح . انـا اريـد ان تكون « المحاورات الجـديدة » محاورات فنية وحجبـة مثـل محاوراتك ، لا محاورات فلسفية سافرة مثـل محاورات أفلاطون . الم تعلمونا ان الفـرق بين الفن والعلم هـو الفرق بين الحجاب والسفور ؟ انظر لنفسك مثلا : انت قـد صنعت لنفسك قناعا ممتازا لبسته أكثر من ثلاثين سنة ، فلم يستطع احـد ان يكشف من تكون أو ان يقرأ ما يـدور فى راسك من افكار ومعتقدات . لـم يستطع أحد ان يعرف ان كنت على يمين الوسط او على يسار الوسط تماما مثـل شكسبير ـ والقياس مع الفارق ـ كانت مهنته الكلام ، ولم يستطع أحـد ان يحل لغـزه او ينسب اليـه آراء او معتقدات محـددة رغم انـه لم يكف عن الكلام طـول حيـاته .

قال مـتسما : ومـا ادراك ان فى راسى آراء ومعتقدات غير مافى ديوانى شخصياتى ؟

قلت . هل يمكن لانسان ان يعيش بـلا آراء ومعتقدات؟

قال : تناعى لم يكشفه بعد انسان . لا عليك . أنت تريد ان تحل لغز الفنان فى خمس دقائق . انا أذكر أيام ان كنت مع طه حسين فى السافوا العليا ومعنا مدام طه ونحن فى كوخ من تلك الاكواخ المسحورة وسط الغابات المسحورة ، وكانت هناك سحيرة مسحورة اتعرف كيف استدرجنى طه حسين الماكر الى السافوا العليا فوجدت نفسى اركب القطار كأنى مجرد من الارادة .

ثم مضى صانع الاقنعة يقص على قصه لا رأس لها ولا ذنب ويبتهج أمامى بذكريات بعيدة حدثت نحو عام ١٩٣٦ وكانت ثمرتها كتاب كذا ، ولم يكف عن الكلام نحو ثلاث ساعات ، وكلما أردت ان اقاطعه قاطع مقاطعتى حتى اقتربت الساعة من الرابعة مساء فاستولى على اليأس تماما واصبحت مشكلتى ، لا ان اظفر من صانع الاقنعة بأقنعة استر بها وجوه شخصياتى بل كيف استخلصه واستخلص نفسى من حبائل ذكرياته . واستنجدت بصديقنا السندباد الجديد الذى أدرك نظرتى الضارعة .

فقال لقد آن الاوان لنعود الى زوجاتنا .

وهكذا حملنا السندباد الجديد على متن - أو على الاصح داخل - سيارته المرسيدس كما داب ان يفعل كل اسبوع وانزل كلا منا عند زوجته ثم انطلق هو ايضا الى زوجته .

ورأيت انـــه لابـــد مما ليس له بـــد ، مادام صـــانع الاقنعة المـــاهر لا يريد ان يساعدنى ، لم يبق الا ان اصنع اقنعتى بنفسى ، فاذا كانت رديئة أو شفافة أه لا تنـــاسب أصحابها ، فهى على كل حال خير من لا أقنعـــة ، لقـــد مضى الزمان الـــذى كان فيـــه أفلاطون يـــدير محاوراته على لسان سقراط وجلوكون وتراسيماخوس وايون ·· الخ · فادباؤنا اليوم شديدو الحساسية ولا مناص من سترهم بأقنعة ، ولكى لا اعطيك ايهـــا القارىء فرصة للابتهاج بذكائك ابتهاجا سريعا لن أذكر لك اسماء « أشخاص المحاورات » أو أرتب لك الاقنعة التى صنعتها بحسب أدوار اصحابها كما يفعلون فى الصفحة الاولى من المسرحيات بل سأعرضها عليك مهوشة ومختلطـــة حتى يختلط عليك أمرها فلا تميز منها أحـــدا الا بحسب كلامه وسلوكه : واليك قائمة ببعضها :

ابوالفتوح الصباح ، الخشداش أيواظ · عـــز الدين ايدمر الحيوى · خولة المايسطرية · المـــاركسية المسخسخة شجرة اللولى·أبو سيفين صفيح·ابن عروس·ابن قرمط · الشاب الظريف ابوسنة دهب لولى · خليع القبيلة · المعـــلم التاسع·المعلم العاشر·ناظر مدرسة ابن العميد·مجـــاهد بن الشماخ · كافور الحاوى اغـــا كافور الحاوى · على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك · دنانير ومعبـــد واياس · عميـــد الصعاليك · بازرعة بن شخبوط · اغـــا طبوزادة · أبو دراس

المنوفى • الفارس المفروس • الفارس الجربوع • أفندم ؟ • أفندم ؟ (هذا قناع وليس سؤالا) الهر الاسود الحزين • الحرفوش بلا حركشة • كاهن انوبيس • ابن روزنبرج • أبو شوشة الحمى • ابن ماركوف • ابن سيركوف • اغا ابو سيفين صفيح • تاجر البهارات • الايديولوجى الفهلوى • ابو المعالى قطز • الملوك الشارد • جراب اليسار مسلول • حلاق الملوك والفقراء • المخلص الكفء • المخلص الراسى • الذاتى الموضوعى • بقال العروبة • بقال الاشتراكيه • بقال الثقافة • الفارس المتعالى • على كل لون غلبان • على كل لون مفترى • على كل لون عياش • ذو الاقنعة السبعة • جوركى المذعور • المتكتك المحترم • المتكتك الدؤوب • المتكتك الخيبان ، المتكتك الشريف ••• حامل الحقائب ••• لولو الجربان • غير ما يستجد من شخصيات واقنعة ، وشخصيات بلا أقنعة واقنعة بلا شخصيات وعدد عظيم من الكومبارس الذين يطلون برءوسهم لحظة أو لحظتين ليقولوا « نعم يا سيدى » - ثم ينصرفون الى الابد •

ومن غير المعقول طبعا ان يشترك كل هؤلاء فى الحوار فى وقت واحد ، والا حدثت غاغة فى عالم الفنون والآداب والعلوم الانسانية • ولهذا كان من الحكمة ان تنظم محاوراتهم على طريقة البرنامج الثانى أو القناة التاسعة ،

أى ثلاثا ورباعا وخماسا وليس على طريقة الجمعيـــــات العمومية غير العـاديه • ثم نشـأت اثنـاء المداولات نقطـة نظـــام •

اعترض معترض : وهـل نحن بحاجة حقـا الى كل هذه الشخصيات لنجيب على الاسئلة التى طرحها علينـا ادبـاء المنصورة ؟

قلت : نعم ، واكثر منها ، وسترى بنفسك • ولكن المهم هـو حفظ النظام حتى لا يختلط الحق بالباطل أو نخرج من هـذه المناقشات بلا ثمرة او يختفى الابتسام ونتضـــارب وكأننـا اعضاء البرلمـان الفرنسى فى الجمهورية الثالثة •

قال على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : أنـــا معترض على هـذه الاقنعـة التى صنعتها لنـا • خـذ مثلا قناعى • انـه لا يناسبنى ، وسيظن الناس طـول الوقت أنى شخص آخر •

قلت : لا تغضب ، انما يلام صانع الاقنعة لانـه أبى ان يعاوننى • ومع ذلك الم نتفق على ان يتم كل شىء فى ابتسام ؟ اذ لم يعجبك اجتهادى فأنا مستعد للعدول عنـه • أى قنـاع تقترح لنفسـك ؟

وهنـا سكت على الزيبق متدبرا ، وطال سكوته حتى مـل الحاضرون •

وحل صانع الاقنعة هذه المشكلة بقوله : حتى لا نتعطل كثيرا ، انا أعدكم بأنى سأصنع قناعا جديدا لكل من يضيق بقناعه ، لابد من نقطة ابتداء والمهم أن نتقدم من هذه النقطة ٠

فهز الجميع رءوسهم علامة الموافقة فقد كانوا يكنون للشيخ احتراما عميقا وشاع فى الاسارير سرور غامر ٠

اعترض الايديولوجى الفهلوى قائلا : انا اعترض على كل هذه الماسكات لانها جميعها ممسوخة ، وهى تظهر ادباء مصر وفنانيها فى مظهر زرى وتحقرهم فى عيون مواطنيهم ٠

قلت : انت تغالى ٠ وما دمنا قد اتفقنا على الابتسام فأول شرط من شروط الابتسام هو قدرة كلمنا على ان يسخر من نفسه ومن قناعه ٠ واذا اردت أن تسمينى المادى الميتافيزيقى أو البروليتارى البورجوازى او حتى صبى المبشرين فلن أغضب ٠ أنا اسمى نفسى مركب الموضوع اللامركب من لا موضوع ، واذا وجدت اردأ من هذا فاقترحه واحمد الله انى لم أتشبه بكليلة ودمنة او بحواديت ايسوب ولافونتين فأصنع لكم اقنعة من رءوس الحيوانات ٠٠٠ كلاب وذئاب وأبناء آوى وقطط ، كما كانوا يفعلون بآلهة مصر القديمة وفى أعياد ديونيزوس فى اليونان القديمة ولا يزالون

يفعلون فى الديانات الزوومورفية فى بعض البلاد المتحررة حديثا أو فى بعض الاجناس التى لا تريد ان تنفرض مثل الهنود الحمر .

ثم لا تنس ان اقنعتى اقنعة لنماذج بشرية شائعة لادباء مصر وفنانيها ، وليست نماذج لاناس بعينهم ، فنحن جميعا من طينة واحدة وحتى هذه القوالب قوالب متكررة . ابتسم يا اخى !

وأقترح آخر : مادمت تتحدث عن النظام فلابد من رئيس لهذا المؤتمر المفتوح ولابد من مقرر يدون كل الآراء .

قال رابع : فليكن الرئيس أكبر الاعضاء سنا .

قلت : تقصد المعلم التاسع ؟ هذا مستحيل . فليكن نائبه هو صانع الاقنعة . هل من معترض ؟

وهنا صاح الجميع : موافقون ! موافقون !

قلت : وليكن المقرر المعلم العاشر فهو سريع التدوين . هل من معترض ؟

وهنا سمعت أصواتا تزوم واصواتا تتهلل واصواتا تريد ان تقول شيئا ولكنها لا تقوله . غير ان أحدا لم يتقدم صراحة للاعتراض .

قلت : السكوت علامة الرضا • ومع ذلك فسيوزع علكيم المعلم العاشر كل محاضر الجلسات أولا بأول • ومن رأى فيها اى تحريف أمكنه أن يصححه •

قال المعلم العاشر : متهللا : ولكنى أريد ان اشترك فى المحاورات لانى اعلم انها ستدخل تاريخ الادب العربى فى القرن العشرين ، وانا كما تقولون معلم ، والمعلم عنده دائما ما بعلمه • ان المحاضر ستشغلنى عن الكلام ، وهذه ستكون مأساة حياتى •

قلت : لا بأس عليك • سجل كل شىء بالريكوردر كما يفعل المقررون المصريون فى البلاد المتحضرة ، وتكلم ماشاء لك الله ان تتكلم •

وهنا سأل سائل : وهل هذه المحاضر للنشر ؟

اجبت : رأيى الخاص انها للنشر حتى يحاسب كل منا فى كلامه ويحاسب على كلامه فلا نتراشق بالسباب أمام الناس كما يتراشق جمهور كرة القدم بزجاجات الكازوزة • فاذا وافقتم ، سلمنى المعلم العاشر محاضر محاوراتكم بعد التصديق عليها وانا اتعهد لكم بنشرها فى «الاهرام» أو فى غير الاهرام ،

وارتفعت أصوات تقول أن النشر سيحول دون الكلام بصراحة ، رغبة أو رهبة ، وتجعل كلا منا يلبس قناعا فوق

القناع الـذى يكسوه ، واذا كثرت الاقنعة ضاعت الحقيقة ٠ وطالب البعض بعقـد جلسات سرية عند الاقتضاء ٠

قلت : لا جلسات سرية ولا جمعيات سرية فى عهـــد الاشتراكية ٠ عـار ان يقول هـذا ابناء مصر ونحن نحيا فى ظـل الميثاق ٠٠٠ من تحرج صدره بشىء فليقله على المـــلا ولكن فى حـدود النظام ٠ الم تعلنوا جميعا انكم بنـــــاة الاشتراكية والديمقراطية بالفكر والكلمة ؟ ان الميثاق سمح يـدع كل الزهور تتفتح داخل الحديقة ونحن ولله الحمـد جميعا نفىء بفيئها ٠ أمـا من راى لنفسه جنة غير هـــذه الجنينة فليمض اليها فهو ليس منا ٠

قالوا صدقت : من استودعه اللـه شرف الكلمه امتـلا بالروح وحمل العبء العظيم ٠ فلنبـدأ الحاورات على بركـة اللـه ٠

× الاحـاورة الأولى ×

فى العصر الذهبى

دق رئيس المؤتمر ، وهو صانع الاقنعة ، بعصاه على الارض ثلاثا كما يفعل القاضى على المنصة ، أو كما يدقون فى المسرح قبل رفع الستار وقال :

ـ باسم ربات الفنون التسع نفتتح هـذا المؤتمر ٠

ثم استدرك قائلا : اقصد الربات التسع لا الفنـــون التسع لان الفنون سبعة ولا اعرف كيف جعل اليونان تســع ربات يشرفن على سبعة فنون ، ثم انى لا افهم كيف جعـــل اليونان الفلك من اختصاص ربات الفنون ٠٠٠ ومع ذلـــك فالينـــا بجـدول الاعمال ٠٠٠ ماهى القضية الاولى أيهـا السيد المقرر ؟

قال المقرر ، وهو المعـلم العاشر :

ـ كان أول سؤال هو سؤال طرحه شـــاب فى مهرجان المنصورة ٠٠٠ نسمع كثيرا عن الرجعية والتقدمية فما تعريف الرجعية وما تعريف التقدمية وهل هناك مقاييس نستطيع ان

نحكم بهـا على رجل ما نستمع له أو نقرأ له أو نرى سلوكه فى الحياة بأنه رجعى أو تقدمى ، ثم ما صـحة ما قرأناه فى مجلة « المصور » من استشراء الرجعية فى البـلاد فى زمن الزحف الاشتراكى ؟ أحمد بهـاء الدين قال ان هناك ستمائة الف رجعى مقابل ستمائة تقـدمى ٠

قال « المخلص الراسى » : أحمد بهاء الدين قال مقابل ستمائة شيوعى ، ولم يقل مقابل ستمائة تقدمى ٠٠ اذا اردت احصاء التقدميين ففى البلاد ستة ملايين تقـدمى ٠

قال الايديولوجى الفهلوى : هـذا يعقد الامـور لان الشيوعيين المصريين منذ الاربعينات يحتكرون لقب التقدميين وهـذا قـد يحدث لبسا لانـه قـد يوحى بأن البلاد فيها ستة ملايين شيوعى ٠٠٠ والحقيقة أن البـلاد فيهـا ، منـذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ستة ملايين تقدمى اما الشيوعيون فعـددهم لا يتجاوز ستمائة ٠٠٠ ارجو النص يا سيدى الرئيس على هـذه الاعـداد ٦٠٠ شيوعى ٦٠٠ر٠٠٠ رجعى ٦ ملايـين تقـدمى ، والا حـدثت بلبلة ٠

صانع الاقنعة : لا داعى للنص ، فالمسألة واضحة ٠٠٠ ومن لـه تحفظ فليؤجله الى آخر المناقشة ٠٠٠ عـذه نقطـة نظـام ٠

الفارس المفروس : أولا انـا أحب أن اجيب على النقطـة الاخيرة وهى استشراء الرجعية بالذات فى عهد الزحـــف الاشتراكى ... ليس صحيحا ان هناك استشراء للفكـــر الرجعى ازاء التجـدد الاشتراكى لان الاستشراء لا يكـــون استشراء الا اذا استشرى والدليل على انه ليس هنـــاك استشراء ان وزارة الثقافة انشـأت فى ٢٣ يوليـــو ١٩٦٣ مجموعة من المجـلات تلقفتها الرجعية لتأليب المثقفين عـــلى مبادىء ميثاق ١٥ مايو ١٩٦٢ وكان اهمها المغفور لهمـــا « الرسالة » و « الثقافة » وقـد فعلت هـذه المجـلات كل ما فى وسعها لتلفت الانظار ، فجمع كتابها كل ما فى الحوارى من طوب وزلـط وقطع حـديد خردة وصفائح سردين فارغة وزجـاجات مكسورة وبلغ قديمة واخذوا يرشقون بها المارة دون تمييز ومع ذلك لم يلتفت اليهم احـد ... وجربـــوا تلعيب الحواجب واخراج اللسان وبطح النفس على طريقـة الفلاحين المصريين لا على طريقة فقراء الهنود ، ومع ذلك لـم يجـد أحـد فى ذلك تسلية كبيرة ... ولمـا يئسوا جربـوا اللعب بالنار والمفرقعات فلم يخرج منها شىء اكثر من القمـر والنجوم وبومب العيد ، اسألوا ناظر مدرسة ابن العميد . وهو رئيسهم .... انـه جالس هناك ... رغم كل هـــذه الالاعيب لم يزد توزيع « الرسالة » عن ٢٠٠٠ نسخة . بدأ ٥٠٠٠ وانتهى ٢٠٠٠ كيف تفسروا هـذه الظاهرة ؟ أقـول

ان ماجد منذ الزحف الاشتراكى ليس ازدهار الرجعية بين المثقفين وانما مجرد تجمع عصابات مدربة معادية للاشتراكية.

ناظر مدرسة ابن العميد : هذا كذب « الرسالة » كانت توزع نصف مليون نسخة .

صانع الاقنعة : يا فارس يا مفروس اسكت ... احترم شيخوخة حضرة الناظر .

على المرء أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح .

الفارس المفروس : انا فقط اردت ان أوضح ان البلد بخير .

الخشداش ايواظ : وكيف البت «الثقافة» و «الرسالة» المثقفين على مبادىء الميثاق ؟

على آلزيبق الجوكى : انا أجيب على هذا السؤال .. الميثاق نادى بالتقدمية والنظر الى الامام . ومجلات وزارة الثقافة نادت بالرجعية وعبادة السلف ... الميثاق نادى بمساواة المرأة بالرجل وبتحرير المرأة من اغلالها ، ومجلات وزارة الثقافة نادت بانحطاط المرأة وبضرورة اعتقالها فى الحريم ... الميثاق نادى بالاشتراكية العلميه ومجلات وزارة الثقافة نادت بالاشتراكية البورقيبية ... الميثاق مجد

to: www.al-mostafa.com

رفاعة الطهطاوى ولطفى السيد وبفلسفة الاخذ والعطاء مع الحضارات الاخرى ومجلات وزارة الثقافة مجدت اغلاق النوافذ وتحسرت على انسلاخ مصر من الامبراطورية العثمانية الميثاق دعا لتنظيم الاسرة كجزء من برنامج التنمية ومجلات وزارة الثقافة كانحت تنظيم الاسرة • الميثاق دعا لتجديد الحياة على أرض مصر بالتجربة والخطأ فى الفكر والادب والفن والعلم والاقتصاد ، ومجلات وزارة الثقافة أعلنت ان كل تجديد خروج على الدين والقومية وعلى تراث الآباء والاجداد ••• بل أكثر من هذا ••• فقى عصر الاقمار الصناعية والاوتوماسيون نشرت مجلات وزارة الثقافة ابحاثا ضافية لاثبات وجود العفاريت والبعابيع ••• كل هذا مدون بالحرف الواحد فى مجلات وزارة الثقافة •

صانع الاقنعة : انتقلوا الى الموضوع الاصلى •

المعلم العاشر : عندى تعريف للرجعية وهو تعريف اتيمولوجى وعضوى فى وقت واحد ••• الرجعية من رجع يرجع والرجوع طبعا لا يكون الا الى الوراء ••• ولم نر قط رجوعا الى الامام الا فى حالة واحدة هى بغلة البهاء زهير حيث يقول :

لك يا صديقى بغلة

ليست تساوى خردلة

تمشى فتحسبها العيـــو
ن عـــلى الطريق مشـكلة
وتخـــــال مـــــدبرة اذا
مـــا اقبلـــت مستعجلـــة
مقـدار خطوتهـا الطويـــــ
ـلة حـــــين تسرع أنملـــــه
تهتـــز وهى مكانهـــــا
فكأنمـــا هى زلـــزلة ...

او على الاصح : بلغـة البهاء زهير تتقـدم الى الوراء ومن يستطيع ان يتقـدم الى الوراء يستطيع ايضا ان يرجـع الى الامام فالرجعى اذن هـو من اراد للمجتمع او لنفسه ان يرجع الى الوراء ... واما منشؤها فهو اعتقـاد الانسان ان حيـاة القدماء ، حيـاة الآباء والاجـداد ـ والاجداد قبل الآباء ـ كانت العصر الذهبى للحياة اى حين كان الرجال رجالا ، قامة كل منهم متران .

ومن الناس من يعتقـد ان الارض سكنهـا العمالقـــة بالفعل قبل انيسكنها البشر ... وبالطبع فى هـذه الرؤيـا للعصر الذهبى محال ان يكون هنـاك مكان لداروين ولاماركس وعامة اصحاب التطور المساكين أو الملاعين ، لان الاحيـــاء كانوا كاملين ثـم انحطوا درجة درجة مع توالى العصـــور

والدهور حتى آلوا الى هـذا المسخ الـذى نراه اليوم ، ولـم يكونوا انواعا ساذجة ثم تطورت وارتقت درجة درجـــة حتى خرج منها انسان اليوم ٠

صانع الاقنعة : على العموم « الرسـالة » و « الثقافة » اغلقتـا فى أوائل صيف ١٩٦٥ ، والضرب فى الميت حرام ٠

الايديولوجى الفهلوى : بعـد اذنك يا سيدى الرئيس المنابر ماتت ، نعم ٠ أمـا الإفكار فهى لا تزال ترعص ٠ ومن وقت لآخر ينجمع اصحابها مثل جماعات الكوكلوكس كـلان ويلبسون الزعابيط والطراطير البيضاء كالاشباح ، يرقصون حول النار ، ويطلقون السهام والاعيرة النارية مثـل الهنود الحمر والعيار الـذى لا يصيب يـدوش ٠ فيحسب النـاس انهم جيش من التتر ويدخلون البيوت ويختبئون ٠

ثم هناك مسألة التوثيق ٠ فالمؤرخ سنة ٢٠٠٠ لثقافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ لن يعرف ان هـذه المجلات ماتـت بالسكتة القلبية ٠٠٠ من قلة التوزيع ٠٠٠ سيدهش حـين لا يجـد كلمة واحـدة فى صحافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ ترد على ترهات مدرسة ابن العميد والخشداش أيواظ وعـز الدين ايدمر المحيوى واغاطبو زاده ، سيظن المؤرخ من نبرتها المجلجلة انهـا كانت تقود الرأى العام ضـد الميثاق ، لابـــد

من سجل يعرف منـه المؤرخ ان فى السويداء رجالا ... نحن لـم نرفع الراية البيضاء ، والحرب لم تنته بعد .

ابـو الفتوح الصباح : اذا كانت هـذه هى الرجعيـة فأنـا رجعى ، ولتحيـا الرجعية .

الخشداش ابواظ : فلتحيـا الرجعية ...

كوراس من عز الدين ايدمر واغا طبوزادة وابو المعالى قطـز وبازرعة بن شخبوط : فلتحيا الرجعيـة .

مجاهـد بن الشماخ : أنـا سبق لى ان أوضحت كـل هذا فى مجـلة « الرساله » وأثبتت ان الرجعية هى حيـاة السلف الصالح وان كل سلف صالح ... اهتفـوا معى : فلتحيا الرجعية ... فليحيا العصر الذهبى .

الخشداش ابواظ : فليحيا الآباء والاجداد .

كـوراس ايدمروطبوزادة وقطـز وشخبوط : فلتحيـا الرجعية فليحيا العصر الذهبى ، فلتحيا السلف .

كافور الحاوى : احذروا يا سادة ... هـذا كمين ... لا تقولوا فلتحيـا الرجعية ... كونوا رجعيين ولكن اهتفوا فلتسقط الرجعية ... وليكن هتافكم اعلى من هتـاف التقدميين هذا منطق العصر .. كونوا رجعيين عصريين ، وانـا معكم

انا مثـلا رجعى عصرى ، عندى دكتوراه من الخارج والبس جاكتة سكوتش واضع المنـديل فى كمى واشرب البيبة ... فلا يتصور أحـد انى رجعى . ولكنى مع ذلك رجعى وعنـدى ان كل الرجال عبيـدوان كل النساء امـاء ، انـا طبعـا لا اجاهر بهذا لانى عصرى ولكنى أطبقه عمليـا ... وفى الثقافة مثلا . كنت اساعد الحلفاء ايـام الحرب بتجنيد المثقفـين لمؤزارة العالم الحـر فلما اتوكسوا فى العلمين وجـدت ان صالح الوطن وصالحى يقضيان بأن ادرس كتاب « كفاحى » وان اهتم بنيتشه وفاجنر . فلما سطع نجم حسن البنـا وهنرى كورييل فىوقتواحـد ارتبكت قليلا ، ولكنى وجدت الحل : دخلت الاخوان سرا وتزوجت من ماركسية علنـا لاهـديها الى الصراط المستقيم ... كل هـذا مع محافظتى دائما على صلاتى بالديوان الملكى ثم دخلت جنـة النقطـة الرابعة . وهاندا اليوم ارتع فى جنة الاشتراكية العربية كما ترون ، ومع ذلك فانا لم اتغير .. سلطتى زادت وشهرتى زادت ومحفظتى زادت ... طبعـا سمعتى ساءت بـين المثقفين ولكن ماذا يهم ... يقولون انى انتهازى ... ولكنهم مغفلون لانى فى الواقع رجعى ... رجعى عصرى ... وهناك آلاف مثلى ، رجعيون عصريون .. كلهم تعلموا فى الخارج وكلهم يشربون البيبة ويضعون المناديل فى اكمامهم ، ومع ذلك ليست لهم سمعة اطلاقا ... فلماذا كل هـذا الضجيج حول سمعتى؟

انـــا انتهازى ؟ فليكن ... ربما كنت انتهز ، ولكنى لا أنتهز لنفسى فقط وانما انتهز لمبـدئى أيضا ـ اليس هـذا ما يفعله على الزيبق الجوكى ؟ هـو يفعل الشىء ويسميه « مرحلية » لانـــه جوكى ... لانه مولع بالسباق ... عنـدى أن المرحلية هى المعادل الموضوعى للانتهازية على النطاق السلوكى ... المعادل هـو القناع أو البرقع .... القناع للمذعورين ... البرقع للضعفاء ... وانـــا قوى ، فانا بغير حاجة الى معادل .. انـــا ادخل راسا فى الموضوع الكارت على المـائدة ... وانا قوى لانى حللت مشكلة الضمير ... لا اقنعه ... لا براقع لا ضمير ... لا نفـاق ... لهـذا انـــا واضح ومفهوم أمـــا على الزيبق لجوكى فغير واضح وغير مفهوم ... المهم ان يخـدم الانسان مبـداه فى كل زمان ومكان وتحت أى ظروف .. وما جدوى المبـدأ بغير صاحب المبـدا ؟ لهذا كان شعارى دائما « انج بجلـدك » ... وافضل طريقة معروفة للنجـاة بالجلـد هى تغيير الجلـد ، وعندى ان تغيير الجلـد افضل من لبس القناع ... وبـلا قناع اقول انـا مبدئى الفرديـة لانى فرد ... انا اعرف انى انـا ولست غيرى ... والوجود عنـدى مكون من « انـا » فى طرف و « الآخرين » فى الطرف الآخر .. والآخرون لا وجود لهم الا من خلالى ، فوجودى هو دليل وجودهم .. انا أعرف انى فرد ولست جماعة .. وسأظل فردا حتى يثبت لى ابن سيركوف وابن موركوف انى جماعة

٠٠ ولكن ليس من الحكمة الآن أن أعلن فى كل مكان انى فـرد مادام كل فرد فى مصر يصر على انـه جماعة ٠٠٠ انـــا باختصار وصلت لحل المعادلة الصعبة وهى كيف تكون فردا وجماعة فى وقت واحـد بالمعادل الموضوعى : أنـا والكـون طرفا المعادلة ٠٠٠ والكون هـو معادلى الموضوعى على النطاق الفلسفى ٠٠٠ فى الواقع ليست هناك مشكلة حقيقية ايهـا السادة ٠٠٠ انـا اكتشفت أولا ان التقدمية هى ان اتقـدم أنا فى المناصب وفى الثروة وفى السلطـة وفى السلم الاجتماعى ، واكتشفت ثانيـا ان كل الناس ادوات للتقـدم ، وبالتـالى يجب ان يكونوا ادوات لتقدمى ٠٠٠ وبهـذا اصبحت المشكلة كلهـا عندى مشكلة لغوية ٠٠٠ انـا اكتشفت ان اللغـة أداة للتفاهم ٠٠٠ أداة للاقناع ٠٠٠ اكتشفت انـه باللغـة يمكن اثبات أى شىء وكل شىء ٠٠٠ كل النـاس تحاسبنى عـلى كلامى ٠٠٠ لـم اجـد احـدا يحاسبنى على افكارى او اعمالى الفرق بينى وبين على الزيبق الجوكى هو انـه يريـد اقناع نفسه قبل اقناع الغير ٠٠٠ أمـا أنا فاكتفى باقنـاع الغير ٠٠ كل هذا بسبب الضمير وأنا تخلصت من مشكلة الضمير٠٠ أنـا وضعت فى حجرة نومى لافتـة بالخط الثلث بكلمات سيد درويش الخالدة : « عشان ما نعلى ونعلى ونعلى لازم نطاطى نطاطى نطاطى » ، حتى افتح عليها عينى كل صباح وتكون آخر ما أراه قبل النوم ٠٠٠ ولكن المؤسف فقط هو انى لـم اصل الى شىء كثير يتناسب مع مواهبى ٠٠٠ ولكنى مع ذلك

وصلت لشيء ... ثم لابد من تفصيل لغة لكل مخاطب . مثلا : عندما تخاطب الكلب قل له : يا سيدى .. فيفرح الكلب ويعتقد انه الانسان وانك انت الكلب ... مثلا ، ان كنت فى بلد تعبد العجل ، فحش ، وارم له ... وهذه لغة عملية موضحة بالفعل والشرح المادى الملموس ... العجل الآن هو الاشتراكية التقدمية . حشوا ايها السادة ... وارموا ايها السادة ، حتى يتخم العجل ويكبس الحشيش على نفسه فينام ، وينام ، وينام من الوخم ، وعندئذ تقدموا أنتم بالسكاكين ... أيها الرجعيون طهروا صفوفكم من الاغبياء اهتفوا معى : فلتسقط المرأة الذهبية : فلتحيا المرأة المتحررة ... ايها الفرديون ! اهتفوا معى : فلتحيا الاشتراكية : تحيا وحدة الانتهازيين والرجليين .

الذاتى الموضوعى : بالضبط ... بالضبط هذا من أوليات الوضعية المنطقية .

أبو الفتوح الصباح : كلا ... كلا ... فليسقط داروين ... فليسقط لامارك .

مجاهد بن الشماخ : نعم ... فليسقط المبشرون ... فليحيا السلف ... فليحيا العصر الذهبى .

صانع الاقنعة : النظام ... النظام ... فلنعد الى الموضوع ... استمر .

المعلم العاشر : نعود الى تعريف الرجعية ... أقول : كانت النساء نساء فى العصر الذهبى . وهنا تختلف الافكار عن

نساء العصر الذهبى المنسوخ بحسب ظروف كل منا ، ولاسيما ظروفه المنزلية ... فبعضنا يتأوه على ضياع سلطان الرجل حتى فى عقر داره ، ويندب الايام التى كان الرجل فيها يقطب فيرتجف كل من حوله من اناث وبنين ، أو يزعق فتتشقق جدران البيت وتتعلق انفاس الهواء فرقا .... وبعضنا يتأوه على ضياع انوثة الاناث ويستغرق فى احلام رشيدية ، اكثرها خرج من الف ليلة وليلة ، عن نساء يجدن التعطر والتطيب ويلبسن سراويل الخز والدمقس ، ويسدلن على وجوههن نقابا أرق من نسيج العنكبوت ، وقد جلسن على أرائك بدندن على العود أو يرقصن وهن يشخشخن على الصنوج وهناك نماذج قليلة باقية الى اليوم من هذه الاجناس المنقرضة يراها السياح عادة فى كباريهات القاهرة بين منتصف الليل والواحدة صباحا ، ويراها المصريون كثيرا فى التلفزيون العربى وفى افلامنا القومية ، ولكن النفس تعافها لانها تدندن للجميع وتشخشخ للجميع ، أما نساء الزمان الغابر فكن يدندن ويشخشخن كل لرجلها فقط وهذه مأساة عصرنا ... هذه الصورة الجميلة العاطرة لاناث الامس يقابلها بعضنا بصورة اناث اليوم المسترجلات ، منهن من يلبسن البنطلونات فعلا ويلعبن الالعاب الرياضية ، وحين يطلبن المرح يدبدبن بأرجلهن فى جنون على الباركيه فى السوينج والتويست والروك اند رول ويسمين هذه الدبدبة رقصا ! كل هذا

يـــدل على انحطاط الانسانية وافول عصرها الذهبى ، لان الرجال لم يعودوا رجـــالا والنساء لم يعـــدن نساء وكل شىء آيل الى فساد ٠

ابو الفتوح الصباح : ما كل هـــذا الكلام الفارغ ٠٠٠ نحن لـــم نأت هنـــا لنسمع هـــذا اللغـــــو عن الدندنـــة والشخشخة وعن النســـــاء المستهترات ٠٠٠ تكـــــلم فى الموضوعات الجادة ٠٠٠ تكلم عن مخافة اللـــه ، عن الصـــوم والصلاة ، عن عـــدل الولاة ٠٠٠ عن تآخى المؤمنين ٠٠٠ تكلم عن وداعة القلوب ٠٠٠ عن سياسة الرعية ٠ عن تقـــــوى العباد ٠٠٠ كل هـــذه امور تهم المجتمع ٠ أما هذه الاحـــلام الرشيدية عن النساء فهى من مظاهر انحطاط المجتمع بعـــــد ان فقـــد الـــدين سلطانه على النفوس ايام المـــدنية العباسية تكلم عن السلف الصـــالح ٠

المعلم العاشر : انا أبدأ بالمرأة لان المرأة نصف المجتمع ٠ اعتقـــد ان كل مجتمع فيه نساء بنسبة ٥٠٪ على الاقـــــل ، واحصاءات هيئة الامم المتحـــدة تؤكـــد ان عـــدد النســـــاء فى العـــالم أكثر من عـــدد الرجال ٠ انا لا أستطيع ان أتجاهل ٥٠٪ من البشر ٠٠٠ حتى السلف كان بينهم دائما ٥٠٪ من النساء ٠٠٠ انـــا اعتقـــد ان اى كلام عن المجتمع لا يبـــدأ بالحديث عن النساء كلام فارغ ومضلل ٠ خـــذ اى شريحـــــة فى المجتمع تجـــد ان نصفها من النساء ٠٠٠ الطبقة الحاكمـــة نصفها من النساء ٠

الذاتى الموضوعى : هـذا صحيح من الناحية المنطقية ٠ الكلام يكون أولا عن الجنس ثم عن النوع ثم عن الفصل ثـم عن الخاصة ثم عن العرض العام ، ومنهج المعلم العاشر متمش مع منهج ارسطو فى الاورجانون ٠

ابو الفتوح الصباح : اذن دعونا من الدندنة والشخشخة وذكر هـذه المذكرات ٠٠٠ الرؤيا الرشيدية لرجـال العصر الذهبى ونسائه ليست سائدة فى عقـول الكثيرين فأكثـر المتأوهين على ضياع العصر الـذهبى لا يفتقدون ضـياع الانوثة فى النساء بـل يفتقدون ضياع الرجولة فى النساء : ايـام ان كانت المرأة مبنى ومعنى ، شكلا ومضمونا ، جـدا فى جد ، تقف صاغرة أمام وليها ولكنها تقف كالرمح السمهرى أمـام الآخـرين ٠٠٠ أذا وقفت ، كـلا ٠ أنـا آسف هـذه أيضـا ليست صورة صحيحة لنساء العصر الذهبى ، لانها صورة أمازونية يونانية عن النسـاء المحاربات ٠ وهذه لهـا ما يقابلهـا حقـا فى الادب العربى القديم حيث نجـد الزباء والخنساء وجليلة بنت مرة وزرقاء اليمامة والاميـرة ذات الهمة وشجرة الـدر يبرزن مثل جان دارك بروز الرجـال للرجال مستصرخات او مستنهضات أو مبارزات وهن ينشدن النشيد القومى الذى الفـه عمـرو بن كلثوم وضاعت منـا نوتته الموسيقية :

الا هبى بصـحنك فأصـبحينا
ولا تبقـى خمـور الاندرينـا

اذا بلغ الفطام لنـــا رضـيع

تخـــر لـــه الجبـابر ساجـدينا

ملأنـــا البـر حتى ضـاق عنـــا

ونحـن البحـر نملؤه ســـفينا

ولكن هـذه الصورة برغم عـذا صورة غير تقليـدية عن نساء العصر الذهبى • فنساء العصر الذهبى كن يقرن فى بيوتهن ولا يسفرن الا لـذوى الارحام من المحارم أو الغلمان – دون سن البلوغ ، ومن باب أولى لا يتبرجن الا لازواجهن • وعنـا تختلف الآراء فى تحـديد معنى العورة ، وفيما يجوز فيه السفور ومداه ، فمن قائل انـه كان يقتصر على الوجـه واليـدين ومن قائل ان الخمـار عـادة تركية دخيلـــة على نساء العـرب ••• الخ • وايـا كان الامـر فهذه التفاصيل الشائكة كلهـا لاتهم الا المجتهدين ، وانما المهم هـو الصورة العامة والصورة العامة هى ان نساء العصر الذهبى كـــن نساء فضليات ، ومقياس الفضيلة انهن كن يعشن لازواجهن وفى أزواجهن : يرتبن لهم طعامهم ومنامهم ويلـدن لهـــم بنيهم ويسهرن على تربية هؤلاء البنين • فاذا اخـــذت احداهن من العلم شيئا فهو لا يخرج عن حـدود وظيفتهـــا الاولى فى الحياة وهى الاطعام والانامة وتربية الاولاد والبنات حتى التاسعة والحادية عشرة بحسب الجنس • قارنوا هـذا بنساء اليوم المارقات الابقات الناشزات اللواتى يهجرن البيوت

ويتعلمن اللغـات والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والفيزياء والكيمياء وحساب المثلثات واللوغاريتمات ويشتغلن بالطب والقانون والصيدلة والبيطرة والهندسة والتعـدين والغزل والنسيج والمحاسبة والادارة والسكرتارية والصحافة والنحت والتصوير والعزف والتمثيل والرقص الايقاعى وغير الايقاعى امـام الجمهور • حتى غزو الفضـاء دخلت فيـه فالنتينا • وهى كلهـا معارف لا تفيـد فى طعام زوج أو انامة حليل أو تربية بنين • بـل قارنوا هـذا بنساء اليوم الفاجرات اللواتى يتبرجن أمـام الخاص والعام بمستحضرات مـاكس فاكتور وهيلينا روبنشتاين وبتقاليع جاك فات وكريستيان ديـور ، ويبدين فتنهن فى السينمـا والمسرح وفى الشـارع والنـادى ، ويخرجن شبه عرايـا على البلاجات • قـارنوا وقارنوا تروا ان نساء العصر الذهبى كن مثـال الفضـيلة أمـا نساء اليوم فهن مثال الرذيلة •

ابـو الفتوح الصباح : احسنت يـا استاذ أحسنت •

المعلم العاشر : هل كنت امينا فى وصف نسـاء العصر الـذهبى ؟

ابـو الفتوح الصباح : غاية فى الامـانة هكـذا كانت نساء السلف الصالح • ولـن تقوم لمجتمعنا قائمـة الا اذا رجعت نساؤنا الى الفضيلة الاولى •

على الزبيق الجوكى الشهير بالزنبرك : اذا كان هـذا

رايك فلماذا ارسلت بنتك الصغرى بمفردها لتدرس الهندسة فى لندن بين غير ذوى الارحام وغير المحارم وكلهم عيونهم زرق وتجاوزوا سن الباوغ ؟ الا تخشى عليها من الفتنة ؟ ثم انى رأيت السيدة المصونة زوجتك مع بنتيك الناهدتين خارجتين أول أمس من « ايرمالادوس » فى سينما قصر النيل.

ابو الفتوح الصباح : اخرس يا ولد .

صانع الاقنعة : التهجم الشخصى ممنوع اعتذر له .

على الزيبق : متأسف .

صانع الاقنعة : هل الترضية تكفى ؟

ابو الفتوح الصباح : مؤقتا حتى نخرج من هنا . وسأحطم وجهه .

الايديلوجى الفهلوى : حذار . على الزيبق لا يحطم لانه كالزنبرك ، كالياى الاصلى ينكمش وينفرد بمرونة شديدة وبقوة شديدة واذا لم تلتفت لنفسك فربما انفرد بك فوجدت نفسك طائرا فى الهواء .

المعلم العاشر : هل انت واثق من انك وصفت نساء العصر الذهبى بامانة ؟

ابو الفتوح الصباح : بالتاكيد .

المعلم العاشر : وكيف تأكدت ؟

ابو الفتوح الصباح : كيف تأكدت ؟

المعلم العاشر : نعم كيف تأكدت . هل رأيتهن بعينيك

أسو الفتوح الصباح : ما هـذه السخافة • طبعا لا نحن نعرف هـذا من كلام السلف من كتب القدماء •

المعلم العاشر : هل تقبل كتب السلف كمرآة للحيـاة فى ذلك العصر •

مجاهد بن الشماخ : وهل هناك مرآة غيرها ؟ اسألونى عن أى شىء فى أدب العرب ، من جـدى الشماخ بن ضرار فى الجاهلية الى أن غربت شمس الاندلس آتيكم بالخبر اليقين والعصر المملوكى التركى والتركى المملوكى أيضـا اذا اردتم وكل شىء حـدث منـذ بونابرت اللعين حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ • أمـا بعـد هـذا فذاكرتى لا تعى شيئا لان الحوادث كانت اسرع من قـدرتى على التعلم •

المعلم العاشر : اتفقنا اذن الادب مرآة الحياة • ولكن الدلائل تـدل ، بحسب ما يعرفه عشاق الادب العربى ، على أن نساء العصر الذهبى ، ولاسيما الارستقراطيات وبنـات العائلات كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم • أنظر مثـلا الى المعرى • المعرى كتب نحـو عشر قصائد فى اللزوميات يندد بتعليم البنات ، ومعنى هـذا ان العرب فى زمن المعرى كانـت عندهـم مدارس بنـات • ربما لم تكن أسماؤها بنبافـادن الثانوية للبنـات او مدرسة أم المحسنين ، ولكنهـا كانـت مدارس بنات على كل حال • ولو ان المعرى كتب قصـيدة

واحـدة ضـد تعليم المرأة لقلنـا انـه ربما اغتاظ من قريبة أو جـارة أرادت ان تتفلسف أو تتحذلق فارسلت بنتها الى المـدرسة ، ولكن عودته الى هـذا الموضوع مرارا وتكرارا يـدل على انه كان يناهض ظاهرة اجتماعية متفشية ، كمـا كان قاسم امين أو لطفى السيد مثلا ، على العكس منه ، يكتبان مرارا وتكرارا فى ضرورة تعلم المرأة فنفهم من ذلـك عزوف المصريين وقتئذ عن تعليم بناتهم . واذا لـم تكن هناك مدارس بنـات فلابـد انه كان هنـاك مدرسون خصوصيون يترددون على البيوت ... والارجح ان العرب عرفوا المدارس والدروس الخصوصية على السواء . المـدارس لابنـاء وبنات الناس العاديين والدروس الخصوصية لابناء وبنات الذوات. حتى الجوارى والعبيد نعرف من المعرى ان منهم من كان متعلما فهـو يحدثنا فى « رسـالة الغفران » عن الجارية توفيق السوداء التى كانت تعمل فتـاة مكتبة فى مكتبة بغـداد ايـام المـأمون تناول الكتب للقراء والنساخ ومحال ان نتصور ان الجارية توفيق كانت اميـة ومع ذلك كانت تميز بين ديوان الخطيئة وديوان ابن الزبعرى ، فلابـد انهـا تعلمت سواء فى مدرسة أو على يـد مدرس خصوصى ... صحيح ان بنات العصر الذهبى لم يشتغلن بالعلوم الرياضية والطبيعية ولكنهن اشتغلن بالتجارة والسياسـة والحرب والادب وإدارة الفنادق وكن يـدرن الصالونات الادبية تماما مثـل مـدام دى مانتنون

ومدام دى بارى ، وكن يقدن المظاهرآت ، فانا لا أجد فرقا بين السيدة التى خرجت تستنهض همة المعتصم بالله بعد غزوة من غزوات الروم وتهتف : « وامعتصماه ! » وبين لطيفة الزيات حين كانت تهتف عام ١٩٤٦ بين طلاب الجامعه : « فليسقط الاستعمار ! » أو « الكفاح كفاح الشعب ! » • أنا لا اجد فرقا ابدا بين نساء العصر الذهبى ونساء اليوم • ومن رأيى ان تمنح وزارة الثقافة منح تفرغ لنقاد مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » ليدرسوا من كتب العرب أنواع الاعمال التى كانت تزاولها نساء العرب وليدرسوا نسبة التعليم بين بنات العرب بدلا من الجلوس فى ناصية الشوارع وقذف المارة بالطوب •

صانع الاقنعة : انت استوفيت هذه النقطة فانتقل لغيرها حتى نسمع غيرك قبل ان نأخذ الاصوات على القضية المطروحة وهى : هل هناك فرق بين نساء اليوم ونساء العصر الذهبى •

الايديولوجى الفهلوى : سيدى الرئيس ، القضية المطروحة اعم من ذلك • الاصوات ينبغى ان تؤخذ على الوجه التالى : هل هناك عصر ذهبى وعصر فضى وعصر برونزى وعصر حديدى كما كان يقول ادباء اوروبا ؟

المعلم العاشر : أنا اقول ان العصر الذهبى خرافة ابتكرها خيال هسيود فى « الثيوجونيا » فى القرن التاسع

ق٠م٠ ثـم تبنتها الرجعية آلاوربية لتثبت ان الامس كان خيرا من اليوم ولتجعل عيون الناس فى اقفيتهم فينظروا دائما الى الوراء ٠

وسأعود الى هـذه النقطة بعد ان افرغ من الكلام عن نساء العرب ٠ الشعر العربى وحـده كاف لاثبات ان نساء العصر الذهبى كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم ٠ امرؤ القيس مثـلا قـال فى شعر سيدة من سيدات المجتمع :

غـدائره مستشزرات الى العـلا

تضـل العقاص فى مثنى ومرسل

وهذا يثبت انهـا كانت تتردد على الكوافير بانتظـام وتجرب مودة الكريباج والبوستيش والشينيون والكاتوجان والا فكيف استشزرت (اى اشرأبت) غـدائر المحبوبة الى العلا ، وكيف تاهت الامشاط بين الشعر المرسل والشـــعر المجـدول ؟ وامرؤ القيس كان دائما يتتبع مودة الشعر فهـو القائل فى مودة ديـل الحصان :

وفرع يزين المتن اسود فاحـم

اثيث كقنـو النخـلة المتعثكل

اى شعر يزين الظهر كثيفا الخ ٠٠٠ وليس من الضرورى ان يكون الكوافير سقراط او انطوان تنتقل النساء الى دكانه فالارجح انـه كان بلانة من طراز راق يتردد ابونيـه على قصور امـراء العرب او كوافيره خصوصية فى بلاط المـلوك ٠

أبـو الفتوح الصباح : الجاهلية ليست مقياسا للعصر الذهبى لان الجاهلية الاولى عرفت بالتبرج ، وربما بقيت بعض تقاليد من هذا التبرج فى الجاهلية المتأخرة ... العصر الذهبى يبدأ بالمائة الاولى .

المعلم العاشر : ومتى ينتهى ؟

صانع الاقنعة: اسحب هذا السؤال لانه سيبدأ الشغب ، إنظر . هناك من يصيح : العرب فسدوا بعد الخلفاء الراشدين . الشاب الظريف أبو سنة دهب لولى يهتف تجيا ذكرى ابى نواس ! لا ذهب الا ذهب العباسيين ! أبو فراس المنوفى يصيح : مولاى لا تنس الاندلسيين اسحب هذا السؤال .

المعلم العاشر : سحبته . سأتكلم عن المائة الاولى فقط فالكل متفق عليها لانها كانت عصر الفتوحات العظيمة أنا أقول ان نساء العصر الذهبى فى المائة الاولى كن يعرفن مودة مارى انطوانيت فى تصفيف الشعر ، بدليل قول عمر بن أبى ربيعة :

ولهـا اثبت كالكروم مذيل
حسن الغدائر خالك مضفور

وانهن كن يعرفن الشنيون بدليل قوله :

سبته بوحف فى العقاص موجل
اثيث كقبو النخلة المتكور

وانهن كن يعرفن المـانكير بدليـل قـوله :

ومخضب رخص البنـان كأنـه

عـلم ومنتفـخ النطاق وثيـر

فاستعمال الاكلادور اذن لم ينتشر فى عصـور الانحطاط كمـا كانوا يعلموننـا فى المـدارس مستشهدين بقول القائل :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسـقت

وردا وعضت على العنـاب بالبرد

اى عضت بأسنانها على اظافرها المـدهونة ، وانما كان شائعا فى المـائة الاولى ٠

قال صانع الاقنعة : من اراد مزيدا من التوثيق فليرجع الى صبح الاعشى والى الاغانى ٠ لقـد تجاوزنا الوقت المقـرر لاستعمال المـانيكير والباديكير عنـد العـرب ٠

رفعت الجلسـة ٠

× المحاورة الثانية ×

فى المرأة الذهبية وسلوكها الذهبى

صانع الاقنعة : المعلم العاشر أوضح فى الجلسة السابقة ان عنيزة صاحبة امرؤ القيس وعائشة بنت طلحة صاحبة عمر بن أبى ربيعة كانتا تترددان على الكوافير وتستعملان المانيكير ، وأثبت من كلام المعرى ان العرب كانت عندهم مدارس بنات • هل بينكم من ينكر هذا ؟

أبو الفتوح الصباح : حتى اذا كان هذا صحيحا فلابد ان الحلاقات ـ استغفر الله ـ كن من النساء والمؤدبات كذلك ، وان تعليم البنات كان يقف عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين •

المعلم العاشر : ولكن تعليم البنين فى العصر الذهبى كان يقف أيضا عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين • نحن لم نسمع عن كليات حقوق وهندسة وصيدلة وطب بيطرى ومعاهد تكنولوجيا فى العصر الذهبى ، لان الحرف

والصناعات كانت تتوارث فى الاسرة وفى الورش يلقنهـــا المعلمون للصبيان ، تماما كما كان يحـدث فى أوروبـــا فى العصور الوسطى ٠

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ابو الفتـوح الصباح يقتـرح اذن أن يصـدر مجـلس الامـة تشريعين : قانون يحرم على الرجال الاشتغال بمهنة كوافير السـيدات وقانون بالغـاء الكليات النظرية والعملية والمعاهـد العليـا والمدارس الثانوية والاعدادية حتى نرجع الى العصر الذهبى ٠ يجب الاكتفاء بالتعليم الابتدائى ٠

مجاهد بن الشماخ : الوالى وليس مجلس الامـة ٠ فالعصر الذهبى لم تكن فيه مجالس أمـة ولا هـذه السخافات المستوردة التى تسمونها برلمانات ٠

صـانع الاقنعـة : نقطـة نظـام ٠ هـذا خـروج عن الموضوع ٠ موضوع نظام الحكم يبحث فى جلسة قادمـة ٠

ابـو الفتوح الصباح : قانون الكواغيرات نعم ٠ أمـا الغـاء الجامعات وكل مراحل التعليم فوق الابتدائى ٠ فهـذا شطط واساءة فهم لمعنى الرجعية ٠ العلم نـور ٠ وكل مزيد من التعليم نور على نور فى قلب الانسان لا فى عقله ٠ واذا كان ذهب العصر الذهبى من عيار ١٤ فمن الانفع أن نجعلـه عيار ٢٤ ٠ وانما المهم ان يملا العلم قلب الانسان بالايمـان والفضيلة والا تذهب البنات الى المـدارس الا فى الزى الرسمى

لنساء العصر الذهبى • وقد نسى الميثاق ان ينص على هذا ولابد من استكمال هذا النقص • والزى الرسمى لنساء هذا العصر الذهبى هو الفستان المقفل عند الرقبة والمتدلى حتى الكعبين والاكمام الطويلة حتى الرسغين ، أما الوجه فيمكن ان يسفر أثناء المحاضرات وفى أوقات العمل الرسمية ولكن لابد من طرحة على الرأس تخفى أولا عورة الشعر ويمكن ثانيا اسدالها ورفعها بحسب الظروف • اسدالها فى الشارع مثلا ، وفى السينما أو المسرح وقت الانتراكت واضاءة الانوار • ويمكن لتسهيل هذه العملية التحكم فى الطرحة بكردون وبكر يثبت فى الخصر على طريقة الستائر • ثم لابد من قانون بتخصيص بلاجات خاصة بالنساء وبلاجات خاصة بالرجال • رحم الله الشيخ ابو العيون •

العلم العاشر : هذه صورة غير دقيقة عن نساء العصر الذهبى فمن الشعر العربى نعرف ان نساء العصر الذهبى كن يتبخترن عرايا على البلاجات واحيانا فى غير البلاجات • خذ مثلا « المتجردة » زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان النابغة الذبيانى يتجول فى ابهاء قصرها فرآها تتجرد •• اعتقد انها كانت تتجرد « داخل » الحمام ، وان النابغة كان ينظر اليها من ثقب الباب ، لان الوصف يوحى بأنها كانت تحس بوجود متفرج ، وقال النابغة الذبيانى فيها :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه

فتناولته واتقتنا باليد

والنصيف ليس بالضبط البيكينى ، ولكنه ازار أو فوطة أو ربما بشكير ، وعلى أيــة حال فسقوطه كشف عن كل شىء ولهــذا « اتفقنا باليــد » • شعر القــدماء يثبت أن نســاء العصر الذهبى كن كنساء اليوم يتبخترن عرايا على بلاجات البصرة والحجاز • فمعلقة امــرىء القيس تشير الى مغــامرة كانت للملك الضليل على بــلاج جلجل ، وهــو شاطىء بركة بجــوار البصرة فيما يقــال ، فهو يقــول :

الا رب يــوم لــك منهن صالح

ولا سيما يــوم بــدارة جلجــل

وتفسيرها فى كتب العرب ان امرأ القيس لعــب نفس اللعبــة التى لعبهــا من قبله الاله كريشنا فى ادب الهنود ، ففاجأ البناتوهن يغتسلن فى بــلاج جلجل واخــذ ثيابهن وقعــد عليها ، وابى ان يعطى كلا ثوبهــا حتى تخرج اليــه عارية وتأخــذه منه بنفسها ولو ظلت فى الغــدير الى الليل • وغلبهن الحيــاء أولا فمكثن فى المــاء حتى ارتفع النهــار ، ولكنهن خفن اخيرا من الالتهاب الرئوى أو الانفلوانزا الحادة على اقــل تقــدير فرضخن وخرجن الواحــدة بعــد الاخرى • وكانت اشدهن حيــاء حبيبته عنيزة ،ولكنها فى النهــــاية رضخت مع الراضخات • واحسسن بالجوع فذبح لهن ناقته فأكلوا وشربوا فياسكة من أفخر النبيذ وطربوا وغنوا ثــم حملته عنيزة معها داخل هودجها بعــد ان فقــد ناقته ، وبعــد

الاقداح كانت القبلات • ولـم يكن هنـاك على بـلاج جلجل بوليس آداب ليمنع كل هـذا • فانظر كيف تقـدمت آداب المحـدثين على أداب القـدماء •

ابـو الفتوح الصباح : النعمان بن المنذر وامرؤ القيس عاشا فى الجاهلية • هـذا لا يقاس عليه •

العلم العاشر : نفس هـذا المشهـد تكرر بعـد سنوات حين نزلت البنات بلاج الغيل فى الحجاز فأخفى الشاعر ثيابهن واذا قلت ان النعمان بن المنـذر وامرأ القيس كانا فى الجاهلية فما قولك فى حكايات عمر بن ابى ربيعة وغيره مع نسـاء العصر الذهبى فى المـائة الاولى ، أو على الاقـل قبل ان تسوء سمعة المجتمع العربى بما قاله ابو نواس وما فعله هـو وجيله السيء السمعة • والغيل بركة أو بحيرة او نبع قرب مكـة • أو لعله غـابة تجرى فيها جـداول الميـاه كما ورد فى «اللسان» وليس من الضرورى أن يكون اسم البلاج مضحكا مثـل جلجل أو غريبا مثـل الانفوشى أو صعبا مثل جليمونوبـولو أو أعجميا مثل الريفييرا لنسميه بلاجا • انظر مثلا الى بلاج جمصة الـذى كنـا فيه • من رآه ظن انـه فى فلوريـدا أو كاليفورنيا ومع ذلك فاسمه جمصة ومحافظة الدقهلية لا تخجل من ذلك ومن اقام فيه نسى ان مصر تجرى فيهـا تجربـة اشـتراكية •

صانع الاقنعـة : أنت تستطرد ، عـد الى الموضـوع الاصـلى •

المعلم العاشر : الموضوع الاصلى ؟ عمر بن أبى ربيعة كانت موايته الخاصة التسكع فى مواقع الغيد على البلاجات ، وآداب المحدثين ليست احط من آداب القدماء ، انظر الى الدالية :

ولقد قالت لجارات لها
وتعرت ذات يوم تبترد :
اكما ينعتنى تبصرننى !
عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها :
حسن فى كل عين من تود
حسدا حملنه من أجلها
وقديما كان فى الناس الحسد

فعمر بى أبى ربيعة لم يكن فقط يتلمظ بمراى البنات على البلاج من بعيد ، ولكنه كان على بعد مترين ، والا فكيف استطاع ان يسمع كل هذا الحوار ؟ ثم ان التقبيل نفسه فى العصر الذهبى كان على احدث طريقة سينمائية نستهجنها فى غرام العصر الحديث ، وتقصها الرقابة من أفلام م٠م و ب٠ب واعتقد انها قصتها مؤخرا من « الدولشى فيتا » ومن « هيروشيما يا حبى » ، وهى ان يمسك الفتى بالبنت من شعرها ويقبلها ، ففى شعر عمر بن أبى ربيعة انها :

قالت : وعيش ابى وحرمة اخوتى
لا نبهن الحى ان لم تخرج

فخرجت خـوفَ يمينها فتبسمت

فعـلمت أن يمينهـا لم تحـــرج

فلثمت فاهـا آخـــذا بقرونهـا

شرب النزيـف ببرد مـاء الحشرج

والقرون بـلا مؤاخـذة هى الشعـر والحشرج اسـم نبع • ولـو ان عمر بن أبى ربيعة كان وحـده فى هـــــذا المضمار لقلنـا انهـا حالة فردية لا يجوز لنـا أن نستخلص منهـا صورة رجـال العصر الذهبى ونسائه • ولـكن أمثاله كانوا كثيرين • مثـلا عبد اللـه بن قيس الرقيـات وهـو أيضـا من قريش كان يعشقهن ثلاثا ثلاثا ، وقـد ســمى بالرقيات لانـه احب ثلاث بنات كل منهن باسم رقيـــة ، وجميل بن معمـر ، وقد كان من الشـباب الارستقراطى فى بنى عـذرة ، قال صراحـة انـه يفضل غزو القلوب على غـزو الامصـار :

يقولون جاهـد يا جميل بغـزوة

وأى جهـاد بعـدهن اريـــد ؟

لكـل حـديث بينهن بشـاشة

وكـل قتيـــل بينهن شـــهيد

ونحن عـادة لا نفكر طويلا فى الطريقة التى تســـلق بها روميو من حديقة آل كابيوليت الى مخدع حبيبته جولييت ليقضى معهـا الليـل • ولا اظن انـه تسلق على المواسير ، والارجح انـه استعمل سلما مجدولا من الحبال الحريرية • تقولون : ولمـاذا الحريريه ؟ اقول لتنسجم مع الجـو العاطر

فى حديقة الورد ومع الليل الساجى والنسيم الهفهاف وصدح العنادل فى الليلوالقبرة مع أول انفاس الفجر ٠ والفرزدق مر بتجربة مشابهة فى البصرة فيما اعتقد كما يستفاد من وصفه :

هما دلتانى من ثمانين قامة

كما انقض بازاقتم الريش كاسر

فقلت ارفعا الامراس لا يشعروا بنا

وافلت فى اعجاز ليل أبادر

الارجح ان « هما » تعود على سيدة الفؤاد وجاريتها ولا تعود على سيدتين تربعتا على فؤاد الفرزدق أو استقبلتاه فى سرير واحد ٠ اقول هذا على الاقل احتراما للفرزدق وصاحبته ٠ وهو موقف يذكرنا بماكان يفعله اللورد بيرون مع الكونتيسة جيتشيولى ويبدو ان الفرزدق كان متمرنا على الصعود والهبوط بالامراس (أى الحبال) ، لان هبوطه السريع كانقضاض البباز الكاسر يثبت انه كان يعرف موضع قبضته من الحبل كالبهلوان ولكنى لا اشك فى ان خيال الفرزدق كان خصبا الى حد المغالاة ، بل واتهمه بالفشر على الاقل فى وصف التفاصيل ٠ فهو يقول انه تدلى من ثمانين قامة ، وثمانون قامة معناها ١٤٠ مترا ، اى ان شقة المحبوبة التى قضى معها الليل كانت فى الدور الثلاثين ، ولا اعتقد أن البصرة عرفت ناطحات السحاب فى المائة الاولى لان الاسمنت المسلح والاسانسيرات لم تكتشف الا فى القرن التاسع عشر ٠ ثم انه لا شك يفشر حين يقول : فقلت ارفعا

الحبال حتى لا يشعروا بنـا وانـه افلت فى اعجاز الليـل يبادره قبل أن يدركهم نـور الفجـر فيفتضح أمرهم • فلـو انـه قال من هذا شيئا يمكن أن يسمع على ارتفـاع ١٤٠ مترا لأيقظ العمارة كلها ، بـل والحى كله على الفـور وطارده العسس واهـل الحبيبة قبل ان يتـاح للمراتين المسكينتين ان ترفعـا الامراس •

وغير عمر بن أبى ربيعة وجميل بن معمر وعبـد اللـه ابن قيس الرقيات والفرزدق هنـاك الشاب الجميل وضاح اليمن ، وهو من أبناء ملـوك اليمن ، والعرجى ، وهـو من ارستقراطية قريش ، وعـدد لا يحصى من شعراء العصر الذهبى يثبتون بشعرهم ان نسـاء العرب فى العصر الذهبى لـم يكن يختلفن كثيـرا عن نسـاء اليـوم على الاقـل فى الفضـيلة أو فى نقص الفضيلة •

مجاهـد بن الشماخ : سيدى الرئيس ، هـذا تخريب لتراثنـا •

أبـو الفتـوح الصبـاح : كـل هـذه حـالا فرديـة لا يقـاس عليها والشعراء يتبعهم الغاوون •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ولكنكـم تدرسون هؤلاء الشعراء فى المـدارس والجامعات ، هل تقترح سن قانون بالغـاء تدريس الادب العربى من المـدارس والجامعـات ؟

مجاهـد بن الشماخ : مستحيل ، نحن أفنينا حياتنا فى

تحقيق هـذا التراث ونشره • نحن نطالب وزارة الثقافة بأن تخصص كل ميزانيتها لنشر التراث العربى •

الايـديولوجى الفهلوى : ومـا اعتراضك اذن ؟ هـل تطالب بنشره بشرط الا يقرأه الناس ؟

ابـو الفتوح الصباح : هؤلاء الشعراء لا يعطون صورة صادقة عن حياة العرب فى العصر الذهبى • النساء الفاجرات يعشن فى كل عصر من العصور •

العلم العاشر : لا تغضب • ان شعراء العصر الـذهبى لـم يكونوا يترددون على النسـاء الفاسدات او على البغايا بل كانوا يترددون على سيدات الاسر وبنـات العائلات • والا فما معنى كل هـذا الاختلاس والتسلق والدخـول من الشبابيك تحت جنح الظلام ؟ وقـد عرف عمر بن ابى ربيعة وحـده منهن عـددا وفيرا وعينهن بالاسم ، مثل عائشة بنت طلحة ونعم والرباب وعنـد وعفراء والثريا والنوار واسماء وليـلى ولبابة ورملة وكلثم وفاطمة بنت محمد الاشعث الكنـدية وغيرهن ، وعناوينهن كلهـا مذكـورة ومحققـة بالكـامل فى « الاغانى » ج ا طبعة دار الكتب وفى ديوان عمر بن ابي ربيعة تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومنهـا يتبين أنهن جميعـا من اسر محترمة مع الاحترام التام لهـذه الاسر ، فالمثل يقول « يخلق من ظهر العالم فاسد » • كذلك كان رجال العصر الذهبى يدلعون ، اقصد يدللون ، نساء العصر الذهبى كما نفعل نحن اليوم بنسائنا فنقول سوسو وشوشو • كانوا

يقولون « سكن » لسكينة و « بثن » لبثينة و « عـز » لعزة : مثلا : « وحبك يا سكن الذى يحسم الصبرا » فى عمـــر بن أبى ربيعة و « كما شغف المجنون يا بثن بالخمر » فى جميل ابن معمر « ومن ذآ الذى ياعز لا يتغير » فى كثير عزه ، وكانوا يضربون المواعيـد كما نضربها اليوم فى الاورمان أو فى جنينة الحيوانات أو فى كازينو الشجرة أو فى استيريو الهرم • مثلا رسول عمر بن ابى ربيعة :

فأتاها فقـال : ميعادك السر

ح اذا الليـل اسدل الاســـتارا

ونساؤنا الآن يستعملن الشـانيل والكارفن ماجـريف والاربيج والاوبيجان والشيفالييه دورسيه بمنتهى الحرص والاقتصاد ويكتفين بنقطة أو نقطتين فى الشعر أو تحت الاذن واحيانا فى المـلابس الداخلية • ولكن قارىء معلقة امـرىء القيس يعرف ان نساء الزمان الغابر كن يدلقن العطور دلقـا على الفراش •

ويضـحى فتيت المسـك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وعلى الثيـاب :

اذا قامتـا تضوع المسك منهما

نسيم الصـبا جـاءت بريا القرنفل

وكانت تحدث بينهم المطاردات الغرامية • انظروا الى هـذه المطاردة التى قام بهـا عمر بن ابى ربيعة وصاحبه بكر على ظهـور الابل وتذكروا مـا يفعله شباب هـذه الايـــام

على الاقدام بين أمريكين عماد الدين وامريكين سليمان باشا أو فى سيارات نصر وهى تطارد سيارات تاونوس عند برج القاهرة أو فى سكة الهرم :

شكوت الى بكر وقد حال دونها
منيف متى ينصب له الطرف يحسر
فقلت : أشر • قال : ائتمر ، أنت مؤيس
ولم يكبروا فوقا ، فما شئت فأمر
فقلت : انطلق نتبعهم ، ان نظرة
اليهم شفاء للفؤاد المضمر
فلما اضاء الفجر عنا بدا لنا
ذرا النخل والقصر الذى دون عزور
فقلت اقترب من سربهم نلق غفلة
من الركب والبس لبسه المتذكر
فقالت لاتراب لها : ابرزن اننى
اظن أبا الخطاب منا بمحضر
له اختلجت عينى اظن عشية
واقبل ظبى سانح كالمبشر
فقلن لها : لا بلّ تمنيت منية
خلوت بها عند الهوى والتذكر
فقالت لهن : امشين ، أما نلاقه
كما قلت او نشف النفوس فنعذر
وجئت انسياب الايم فى الغيل اتقى ال
عيون واخفى الوطء للمتغفر

فلمـا التقينـا رحبت وتبسـمت

تبسـم مسرور ، ومن يرض يسرر

فيـا طيب لهـو ما هناك لهوتـه

بمستمع منهـا ويـا حسن منظر

فمن كان بطيئا فى فهم الشعر فمعنى هـذا الكـلام باختصار أن عمـر بن ابى ربيعة وصاحبه بكرا : ابصرا ركب المحبوبة وصاحباتها فتبعاه حتى ادركاه ، ورغب ان ينفرد بهـا ورغبت ان تنفرد به ، فانسلخت من الركب وتحقـق الرنـديفو ٠

وفى الرائية المشهورة : « أمن آل نعم انت غاد فمبكر» « وهو يشبه قولنا » : « أتذهب مبكرا الى بيت البنت نعمت اونعمات أو نعيمة » يروى لنـا عمر بن ابى ربيعة كيف انه فعـل ما فعله دون جوان فى جناح الحريم بسراى السلطان فى استنبول ٠ اى تنكر فى زى فتـاة لكى يندس بينهن ، كـما ورد فى ملحمة اللورد بيرون ، ودخـل فى مازق ثم خرج منه ٠ ولا اعتقد ان شاعرا فى ايـة لغة بلغ هـذه الـدقة فى وصف حـديث العشاق المعاميد الـذى اختلطت فيـه الدماثة بالشبق وهما عـادة من صفات نساء الارستقراطية :

فحييت اذ فاجأتهـا فتولهـت

وكـادت بمخفوض التحية تجهـر

وقالت وعضـت بالبنـان : فضحتنى

وانت امرؤ ميسور امرك اعسر

أريتـك اذ هنـا عليـك الم تخف

وقيت وحـولى من عـدوك حضر ؟

فـو اللـه ما ادرى : اتعجيل حاجة

سرت بك أم قد نام من كنت تحذر ؟

فقلت لها : بل قادنى الشوق والهوى

اليك وما نفس من الناس تشـعر

فقالت وقـد لانت وافرخ روعهـا

كـلاك بحفـظ ربـك المتكبـر

فانت ابـا الخطـاب غير مـدافع

عـلى اميـر مـا مكثت مـؤمر

فنت قرير العـين اعطيت حـاجتى

اقبـل فاها فى الخـلاء فاكثـر

فيالـك من ليـل تقـاصر طـوله

وما كان ليـلى قبل ذلـك يقصر

وهكذا قضى عمر بن ابى ربيعة ليلة ناعمة ، ولكن مـا ان اوشك الليل ان ينقضى حتى وقعت الواقعة فدبت الحركة فى الحى وتأهب القوم للرحيل : « فلا راعنى الا منـاد : ترحلوا وقـد لاح معروف من الصبح اشقر » ، ولم تصـب البنت بالـذعر بـل قالت لصاحبها : الان وقـد تنبه النـاس ، « أشر كيف تأمر ؟ » لنخرج من هذه الورطة • فعرض عليها ان « يباديهم » أى ينقض عليهم بسيفه ، ولكنها رفضـت قائلة : لا • هـذا يثبت ما يشاع عنـا ، فلنفكر فى حـل يسترنا لا فى حل يفضحنا ، وهكـذا كانت المرأة كالعادة اذكى

من الرجل • ولكنى يبـدو ان الخطر اقترب منهـا فقـد شحب وجههـا ، ومضت الى اختيهـا ، أو لعلهمـا مجرد صاحبتين تستنجـد بهما :

فقامت اليهـا حرتـــان عليهمـا
كساءان من خـز دمقس واخضر
فقالت لاختيها : اعينـا على فتى
أتى زائرا ، وَالامر للامر يقـدر
فأقبلتا ، فارتاعتـا ، ثم قالتـا :
اقلى عليك اللـوم فالخطب أيسر
فقالت لهـا الصـغرى ، سأعطيه مطرفى
ودرعى وهـذا البرد ان كان يحـذر
يقـوم فَيمشى بيننـا متنكـــرا
فـلا سرنـا يفشو ولا هـو يظهـر
فكـان مجنى دون من كنـت اتقـى
ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

الا ترون معى ان التنكر فى زى النساء يـدل على ان عشاق العصر الذهبى كانوا اكثر جراءة واوسع حيلـة من عشاق اليوم • أكاد اقطع بأن اى عاشق من عشاق اليـوم لـو ووجـه بهـذا الموقف لضربت معـه لخمة ولمـا عـرف كيف ينصرف •

الفارس المفروس : اسمحوا لى يـا سادة • كل هـذا طبيعى ، انتم تنسـون ان فن التصوير وفن النحت اندثرا بين العرب بانتهاء الجاهلية الوثنية • فطبيعى ان يقوم الشاعر

مقام الفنان التشكيلى فيرسم « بورتريهات » لسيدات العصر الذهبى بالقلم والكلمة بدلا من الرسم بالفرشة والالوان • وهذا يفسر انتشار شعر الغزل فى العصر الذهبى وفى « الاغانى » ج ٦ ص ٢١٩ أن ام البنين بنت عبد العزيز ابن مروان وزوج الوليد بن عبد الملك ارسلت الى كثير عزة والى وضاح اليمن تقول : « انسبا بى » • والنسيب أو التشبيب نوع من الغزل • فلنقل انه وصف محاسن المرأة ، وان ام البنين لم تكن تطلب من الشعراء ان يتغزلوا فيها حقا ، وانما أرادت منهم ان يصفوا محاسنها ، اى ان يرسموا لها بورتريه أو ينحتوا لها تمثالا بالكلام على غرار ما يفعل الفنانون • وقد خاف كثير من صولة ابيها فلم يصفها بل وصف جاريتها ، أما وضاح اليمن فقد شبب بها فنال عقابه • تربص به رجال الوليد وقتلوه بدفنه حيا •

المعلم العاشر : ربما كان هذا صحيحا ، ولكنه لا يفسر المواعيد الغرامية فى السرح والغيل ولا المطاردات ولا التنكرات والتسلق بالحبال لولوج المخادع ولا المشاورت الطريفة بين البنات والبنات وبين الرجال والرجال فى افضل الطرق لدخول دنيا الحب والخروج منها • ان دراستنا للادب العربى تقف دائما عند زخرف الالفاظ ولا تتوغل فى المعانى الا نادرا ولا تحاول أن تربط بينه وبين الحياة التى أنتجته وهذا هو سبب كراهية تلاميذنا لدراسة الادب العربى شعرا ونثرا رغم الجهود الجبارة التى نبذلها لنشره على ابنائنا

فى المدارس • أنا مثلا أعتقد أن الادب العربى متخلف جداعن الادب اليونانى ، ولكنى اعتقد انه لا يقل شموخا عن الادب اللاتينى بما فى ذلك فرجيل وهوراس وأوفيد • ولكننا حنطناه لاعتقادنا أن التراث لا يكون تراثا اذا عاش معنا وعايشناه ••• ان التلميذ المصرى مثلا لا يعرف ان ابناء المائة الاولى كانوا مثلنا اناسا يحبون ويعشقون ويتألمون ويفرحون ويقتلون ويزنون ويدسون ويتآمرون ويغدرون ويخلصون وانهم كانوا مثلنا يحبون الجد ويتجهمون ويحبون الحظ ويفرفشون ، وانه لمع بينهم اقطاب المغنين مثل ابن سريج والغريض ومعبد ، وكلهم من فنانى الحجاز تألقوا فى المدينة المنورة تألق محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وفريد الاطرش فى القاهرة الان • قالوا وكان رابع هؤلاء العباقرة حنين الحيرى فى العراق ، فكتب ثلاثتهم اليه خطابا يدعونه فيه لزيارة المدينه • قالوا : نحن ثلاثة بالحجاز وانت وحدك بالعراق ، فأنت اولى بزيارتنا • والمهم فى هذا ما جاء فى « الاغانى » من وصف الهستيريا التى استولت على اهل المدينة عندما علموا باقتراب موكب الموسيقار حنين هذا ، وهى تشبه الهستيريا التى تستولى على اهل لندن أو باريس أو نيويورك فيتجمعون بالآلاف فى المطارات حاملين الكورونات وكارنيهات الاتوجراف والكاميرات كلما نزل الخنافس أو جونى ماليداى أو الفيس بريسلى ، فيتشنج الرجال ويغمى على النساء • قالوا : فشخص اليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره

فخرجوا يتلقونه ، فلم يـر يوم أكثر حشرا ولا جمعـا من يومئـذ • هـذه صورة من صور الحياة اليوميـة فى العصر الذهبى تـدل على أن رجـاله ونساءه كانت لهم قلوب مثـل قلوبنا • فلم كل هـذه الجهامة التى ترتسم على وجـه أبـو الفتوح الصباح وصاحبه مجاهـد بن الشماخ • ليس صحيحا ما قاله أبو الفتوح الصباح من أن نساء العصر الذهبى كن مثال الفضيلة وان نساء عصرنا مثال الرذيلة • هـل اقتنعت يـا سيدى ؟

مجاهـد بن الشماخ : كلا • كلامك غير مقنع ، بـل هـو اشبه بسمادير المخمورين • وانـا لا افهم كيف يـؤذن لـدعى جاهل مغموز ملموز شرلتان مثلك ان يتكلم فى تاريـخ العرب وادبهم وانت الـذى دربك المبشرون والمستشرقـون عملاء الاستعمار الصليبى لافساد حضارة العرب وعقيـدة العرب •

صانع الاقنعة : محال ان اسمح بهـذا السباب • انـه خروج على الميثـاق ، ان كانت لديك وجهـة نظر فاشرحهـا ولكن حـذار من التطاول والا اخرجتك من الجلسة • ارى من حالتك النفسية انك اذا بـدأت الكلام فـلن تتوقف ، والوقت ازف • فالى اللقـاء فى الجلسة القادمة •

رفعت الجلسة •••

فى المـــرآة

قال صانع الاقنعة : انت يا مجاهد بن الشماخ طلبت الكلمة وستكون اول المتكلمين فى جلسة اليوم • ولكن تذكر ما وعدتك به فى الجلسة السابقة اذا لجأت الى السباب•

مجاهد بن الشماخ : انا لم الجأ الى السباب وانما كنت أمارس حقى فى الهجاء والهجاء فن معترف به من فنون الشعر العربى ، وله تقاليد راسخة فى بلاغة العرب ، بل اكاد اقول انه يمثل ربع تراثنا من الشعر العربى • فاذا كان ربعه للنسيب وربعه للفخر وربعه للمدح فربعه الرابع للهجاء ، اما شعر الرثاء فمجرد متفرقات هنا وهناك لا يعتد بها ، واما وصف الطبيعة والحكم والتأملات وغيرها فقد جرت تقاليد العرب أن تكون « من الباطن » اى بحشى بها بطن القصيد حشو الفريك داخل الحمام وهى لا تطلب لذاتها ، فهى ليست فنونا ادبية معتمدة عند العرب • ولم يشذ عن هذه القاعدة الا العتاهى والمعرى

وشعراء الصوفية • فالعرب اذن قـد جعلت من السباب فنـــا جميلا وسمته الهجاء ••• كما جعلت من الـلق فنـا جميـلا سمته المـدح • فاذا كنت قـد قلت للمعلم العاشر انـه دعى وجاهل وشرلتان وان كلامه صديد فى صديد أو من سمادير المخمورين أو انـه صبى المبشرين وعميل المستعمرين ، فهـذه كلهـا صور فنية غاية فى الذكـاء ، ومعان مبتكرة لم يسبقنى اليهـا احـد من القـدماء، وانتم تعرفون ان ابن قدامة وابن سلام والجرجانى وابن قتيبة والآمدى وابـا هـلال العسكرى وابن طباطبا كانوا لايغتفرون لشاعر أو ناثر انـه كرر معانى غيره أو الفاظه ويسمون هـذا سرقة ادبية • وقـد حافظنـا نحن سدنة التراث العربى على تقاليـد الهجاء حتى لا ينقرض هـذا الفن الجميل • فمصطفى صادق الرافعى مثلا كان يسمى عبـاس العقاد « العقاد اللص » و « الشاعر المراحيضى » وكان يضعه على السفود وهو خازوق او سيخ لشى الكباب وناظر مدرسة ابن العميد الجالس هناك كان يقول ان خولة المـايسطرية تمسك بقلم الشيخ الغليظ ويقصـد بالغليـظ القلم لا الشيخ ، وهـو زوجها ، وقـد نشر هـذا على نفقـة الدولة فى مجلات وزارة الثقافة ، لانـه ظريف وجميل ولانـه يحافظ على تراث البلاغة العربية وفى وزارة الثقـافة ادارة لاحياء التراث العربى ، فهـو يطبع على ميزانية احياء التراث وقـد أوشك هـذا الفن ان ينقرض منـذ ان ظهر المعـلم التاسع قاتله اللـه أو على الاصح منـذ ان عـاد هـو ومدرسته من أوروبة ، فأخـذ يهجو خصومه فى الراى بعبارات

مثـل قوله : « فليسمح لى سيدى ان اختلف معـه فى بعض مـا ذهب اليـه ، وانا زعيم بأن اختلاف الراى لا يفسـد للود قضية » او مثل قوله : « ومهما يكن من شيء فانى أوشك ان اختلف مع سيدى فى بعض مـا ذهب اليـه » وغير ذلك من التراكيب الاعجمية المستوردة من الخارج ، وهى تراكيب دسهـا علينا المبشرون الصليبيون والمستشرقون للقضـاء على البلاغـة العربية وابادة الهجاء العربى ... وهـل هناك أجمـل من قـول الخطيئة :

فغض الطرف انـك من نميـر
فـلا كعبـا بلغت ولا كـلابا

انظر الى التورية فى كلمتى « كعب » و « كلاب » فهما اخس ما فى الانسان واخس ما فى الحيوان وهما فى الوقـت نفسه اسما قبيلتين من قبائل العرب ، وهل هنـاك اقـوى من قـول المتنبى فى سلطان من سلاطين مصر ..

لا تشتر العبد الا والعصـا معـه
ان العبيـد لأنجـاس مناكيـد

انه قول صالح لكل زمان ومكان ، ولو ان لومومبا قاله لتشومبى لمـا آل الى هـذه الكارثة الحزينة . اقـول لـولا مجلات وزارة الثقافة لانـدثر هـذا الفن الجميل ، والحمـد للـه الـذى كشف الغمة وبعث مجـد الآبـاء والاجـداد ، وجـدد العصر الذهبى للهجـاء ، فانا الان استطيع كلمـا خـوى وفاضى ان اقتحـم على اى كبير من كبـار القـوم مكتبـه قائلا :

فجـد لى يـا ابن ناقصة بمال

فانى قـد عزمـت على المســير

فيخاف بأسى ويوقع لى على ما شئت من صكوك ، هذه التى تسمونها شيكات : أو اذونات صرف ، فان أبى أن يوقع اردفت هـذا بقولى :

قـوم اذا استنبح الاضياف كلبهـم

قـالوا لأمهـم بـولى على النـــار

فيكون لقولى وقع السحر فى نفسه لانـه يـدرك انى قـد بـدأت الهجاء بالام والاب ... نعم ان فن الهجاء فن أرفع من فن المـدح لان المـال او المجـد ان جـاء عن طريق المـلق كان استجـداء، اما ان جـاء عن طريق الارهاب فهـو بأس وسؤدد . وانـا لا اطالب الا بحقى فى ان اجرب بلاغة العرب فى هـذا المعلم العاشر الصعلوك ، عـمـرو وقبيلته وتومه بعـد أن اجرده من كافة الثقافة العلمية التى حصل عليهـــا بوسائل مريبة من جامعات المبشرين.

صانع الاقنعة : انـا نبهتك اكثر من مرة ان هـــذا منـاف للميثاق ، ادخل فى الموضوع أو دع غيرك يتكلم .

مجاهـد بن الشماخ : لا بأس . لقـد صور هـذا الرجل

صانع الاقنعة : اسمه المعلم العاشر .

مجاهـد بن الشماخ : انـا لا اعترف بهـذا اللقب .

صانع الاقنعة : هل تعترض على لقبك ايضا ؟

مجاهـد بن الشماخ : كـلا ، فهو يناسبنى تماما ٠ وهو ليس قناعا بـل حقيقة ، فجـدى الاعلى هـو الشماخ ابن ضرار قطب شعرآء الجاهلية ، وانـا مجاهـد بالفعل ٠

صانع الاقنعة : هـو الـذى صنع لك القناع فلمـاذا انت غاضب عليـه ؟

مجاهـد بن الشماخ : هذه قصة أخرى سأرويها فيمـا بعـد ٠ اما الان فانا اقول ان المعلم العاشر زعم كما زعم المعلم التاسع من قبله ان شعر الغرام القانى فشـا فى الحجاز فى أوائل حكم بنى امية ٠ والحقيقة ان شعر الغرام القـانى والغرام الباهت وكل انواع الغرام فشـا فى كل عصر من عصور الدولة العربية لان العرب بسليقتهم عشاق معاميد ، وانـا لا أوافق ابا الفتوح الصباح فى تصوره أن العصر الذهبى كان خاليا من الغرام ، فأبو الفتوح الصباح أحول او اعـور يرى ادب الدين ولا يرى ادب الدنيا ٠

ابـو الفتوح الصباح : أتشتمنى ؟ أنـا صديقك ٠

مجاهد بن الشماخ : انا لا اشتمك ولكنى أصحح آراءك عن العصر الذهبى ، الدولة العربية كلهـا عصر ذهبى ، وكل مـا فيها ذهب ٠ حتى الجاهلية الاولى ذهبية وهـذا هـو الفرق بيننـا نحن المثقفين العرب وبينكم معشر الروحانيين العرب نحن نقول أن دولـة العـرب دين ودنيـا ، وانتـم

تقولون انهـا دين فقط ، ولهـذا سنصل نحن الى الحـــكم أمـا أنتم فستمهدون لنا الطريق • انتم تكتوون بالنار ونحن نأكل الكستناء كما يقول الخواجات • وهـذا هو سبب فشل جـدك الاعلى حسن الصباح مقـدم الفداوية وشيخ طريقة الحشاشين رغم انـه برز فى الحروب الصليبية وهو أيضـا سبب فشل ابن عمك آيـة آللـه كاشانى فى ايران فى السنوات الاخيرة • لا تترك آلدعوة الباطنية ولكن ادخـل الاتحـــاد الاشتراكى ، وبهـذا تكون لك كوادر سرية وكوادر علنيـة فى حى الباطنيـة •

صانع الاقنعة : ما هـذا الكلام ! انتما تتآمران لقلب نظـام الحـــكم ؟

ابـو الفتوح الصباح : لا • أبـدا • انـا لا تربطنى بهـذا الرجل الا رابطة فكرية •

صانع الاقنعة : نحن كنـا نتكلم فى الادب والحياة ••• فمـا دخـل السياسة ؟

مجاهد ابن الشماخ : السياسة تـدخل فى كل شىء • فمثلا تعـددت الآراء فى اسباب تفشى شعر الغرآم فى الحجاز فى أوائل حكم بنى أمية ، فصاحب « حـديث الاربعـاء » يقول آن شعر عمر بن ابى ربيعة وفرقة الشعراء العشـــاق كان يمثل صورة حقيقية لمجتمع ارستقراطى مترف متـــأنق انتشرت فيه الصالونات الادبية • وهناك رأى بأن بنى امية

ارادوا ان يستأثروا بالحكم فى الشام فشجعوا هذا الترف فى الحجاز لعزله سياسيا وشغل شبابه عن الحياة العامة بسفاسف الفن والادب وبمتع الحياة ، وهذا ليس بمستبعد وعندنا أمثلة فى التاريخ ... فالصليبيون الامريكان علموا الا يروكوا والشيروكى والسيو والسجنولو واليوت وغيرهم من قبائل الهنود الحمر شرب الجن لينصرفوا عن القتال ويتركوهم يمرحون فى البلاد . وكذلك فعل الصليبيون الاوروبيون بزنوج افريقيا : فتحوا بلادهم بالخمر والخرز . ولكن الارجح فى نظرى هو ان شعر الغزل هذا لم يكن الا لونا من الوان القذف السياسى قصد به الشعراء تلويث سمعة خصومهم بالتعريض بنسائهم المحصنات وتصويرهن فى صورة الزانيات الفاجرات ، الم اقل لكم ان القذف فن جميل وله تقاليد راسخة فى الادب العربى ؟

أبو الفتوح الصباح : انا اعتقد ان كل ماروى عمر ابن ابى ربيعة والعرجى وجميل بثنية والرقيات ووضاح اليمن والاحوص والاخطل وغيرهم فى شعرهم من مغامرات نسائية مع كرائم العقائل ليس الا اقاصيص من نسج الخيال والكذب فى سبيل الفن رخصة أعطيت للشعراء من أقدم العصور ، والى الآن فيما اعتقد . فشعر هذه الفترة لا يصلح أن يتخذ مرآة لذلك العصر . وصورة الشاعر يقتحم أو يتسلل الى مخادع البنات صورة شعرية قديمة ورثها

شعراء صـــدر الاسلام عن شعراء الجاهلية • نجـدها مثـلا في امرىء القيس ونجـدها في المنخل اليشكرى :

ولقـد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير

المعلم العاشر : ربما • ربما • ولكن هـذا لا يفسر كيف ان دواوين عمـر بن أبي ربيعة وعـديد من معاصريه ليست الا سلاسل محكمة الحلقات من قصائد لا تخرج عن هـذا المعنى : معنى التواعـد واللقاء أو التسلل الى المخادع • والارجح ان شعراء العصر الذهبي كانوا يفشرون في وصف هـذه الدون جوانيات أو على الاقـل يغالون بعض الشيء ، وهـذا ضعف انساني تجـده في كل العصور • ولكن مجرد تفشي هـذا الاتجاه الادبي اكثر مما الفـه الناس في الجاهلية ومجـــرد سـماح مجتمـع العصر الذهبي بتفتيشه يدلان على نـوع من السماحة والقبـول لهـذه « الموضـة » الادبية • ثم أننـا لـم نسمع ان أحـدا اقام الحـد على عمر بن ابي ربيعـــة رغم اعتراغه بالزنـا أكثر من مائة مرة في قصائده ، والاعتراف سيد الادلة ، بـل هـو يذكر أسماء وعناوين من زنى معهن من النساء دون حرج ، واكثرهن من سيدات المجتمع المعروفات ومع ذلك لا يتعرض له أحـد • وواضح من سير شعراء العصر الـذهبي ان ما لقيه وضاح اليمن أو الاحوص أو الرقيات أو الاخطل من العنت أو التهديد لم يكن بسبب دخولهم مخادع

السيدات ، ولا بسبب اجترائهم على نساء وراءهن سيوف طويلة من نساء كبار رجال الدولة ، على طريقة : « اذا سرقت اسرق جمل واذا عشقت اعشق قمر » • فبعض من وصفهن هؤلاء الشعراء كن ملكات جمال مثل عائشة بنت طلحة تحدثت بجمالهن كتب العرب ، ولكى اقرب لكم الصورة تصوروا مثلا ان عبد الرحمن الخميسى أو عبد القادر القط أو صلاح عبد الصبور أو أحمد حجازى كتب قصيدة فى هذه الايام تباهى فيها بليلة حمراء قضاها مع زوبة المناويشى زوجة الدكتور محمود الدنديشى رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للكرافتات والبابيونات والخرق الحريرية ، وفى فيللا الدكتور نفسه خلف اندريا شارع الهرم• فماذا يكون الحال ؟ طبعا قضيتان : قضية قذف للتشهير تطبق فيها المادة كذا من قانون العقوبات (والحبس فيها واجب) ، وقضية زنا مع محصنة ، اى امرأة متزوجة (والحبس فيها واجب أيضا) ، وغالبا قضية ثالثة هى قضية طلاق بين محمود الدنديشى وزوبة المناويشى أو على الاقل علقة سخنة تبقى فى ذاكرة زوبة المناويشى لفترة طويلة • فسيف القانون اليوم أحد من « سيوف ابيك » التى ذكرها الشاعر فى قوله : « فتكات لحفلك أم سيوف ابيك » • وواضح اننا اليوم نقيم الحد بطريقتنا الخاصة على الزناة والقاذفين اكثر مما كانوا يفعلون فى العصر الذهبى وأننا لا نعلق

العقوبة على الاعتراف أو التلبس كما كانوا يفعلون بـــــل نكتفى بما تجمعــه النيابة من أدلة ٠ وحتى لو افترضنـــا ان الخميسى أو القــط او عبــد الصبور او حجازى مجــرد فشار لا يفعل شيئا ولكنــه يشنع ببنــات الناس ، وان الفشر ، فشر الشعراء ، شىء معروف للخاص والعـــام ، فهــذا قــد يعفى من تهمة الزنــا ولكنــه لن يعفى من تهمــة القذف ٠ فاذا تصورتم ان اقتحام مخادع السيدات فى حراسة الخادمة والطباخ والشوفير وصبى المكوجى لــم يعــد موضوع قصيدة واحــدة ينظمها الخميسى أو القط او عبــد الصـــبور أو حجازى بــل اصبح الموضوع المفضل عنــد شعرائنا واشترك فيه عزيز اباظة وعلى الجندى وعبــده بدوى وعامر بحيرى ومحمود عماد وبقيــة اعضاء لجنــة المــدرسة العمودية حتى اصبح سمة الادب العربى فى مصر عــام ١٩٦٥ ، واذا تصورتم ان الامر تجاوز زوبــة المناويشى الى كوكا وسونة ونوســة وريرى وزيزى وميمى وفيفى الدراويشى والملاميشى والفرافيشى والقراقيشى والحلمنتيشى ، وكلهن زوجات رجال من طبقة مديرى العموم من ذوى السيوف الطويلة ، ومع ذلك لا تخرج هــذه السيوف من غمدها الا فى القليل النادر ، فماذا انتم قائلون ؟ ومــاذا سيقول المــؤرخ الذى سيؤرخ لعصرنا عــام ٢٥٠٠ ميلادية عن طبيعة الحياة فى هــذا العصر ؟

نحن نعرف ان الكوكايين كان منتشرا فى مصر فى أوائل

العشرينات من نشيد حسن فائق ، المنسوب الى عبد الله شداد ، « شم الكوكايين خلانى مسكين » ، ومثله الحشيش من نشيد سيد درويش عن « التحفجية ·· فشر يا دؤدؤ » كذلك نعرف ان الزواج من اجنبيات كان يمثل خطرا قوميا فى العشرينات من روايات يوسف وهبى وفى الثلاثينات من قرار لجنة البعثات بحظر الزواج من أجنبيات على طالبتنا فى الخارج · ومؤرخ الادب سنة ٢٥٠٠ سيقلب أدب عصرنا فيجد فيه أوصافا غريبة وتحليلات عجيبة لا نظير لها فى الادب العربى فى اى عصر من العصور لشخصيات مصرية تظهر لاول مرة على خشبة المسرح ، مثل طواف : عمان عاشور وفرفور يوسف ادريس وخضرة سعد الدين وهبه وعبده افندى للطفى الخولى ، ويستنتج منها انه كانت فى مصر ثورة فقراء ومحاولة ضخمة لاعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية منذ ١٩٥٢ ، سيصل مؤرخ الادب الى هذه النتيجة حتى ولو لم يقع فى يده أى كتاب من كتب التاريخ لان ادبنا مرآة لعصرنا · وقد يكون مرآة منبعجة او مقعرة كمرايا اللوناپارك بسبب عقلية ادبائنا وتكوينهم النفسى ، ولكنه مرآة من نوع ما على كل حال · وسيجد مؤرخ الادب بعض التفكهة حين ينظر فيما سيبقى من ادبنا فيجده خاليا من وصف النساء خاليا من وصف الحب ، أو يكاد يكون خاليا · انا طبعا أفترض ان « انت عمرى » لن تعيش الى

سنة ٢٥٠٠ وان نساء رشاد رشدى سيعشن فقط حتى يحال الى المعاش ، فرشاد رشدى هو الوحيد الباقى بين كتاب مسرحنا الذى لا يزال يكتب عن النساء واحوالها وعن الحب وأوضاعه • سيبتسم مؤرخ الادب ويسائل نفسه : ترى ماذا جرى لهؤلاء القوم منذ ١٩٥٢ أو على الاصح منذ اندثار مدرسة ابولو فى الحرب العالمية الثانية ؟ نعم • لن يجد مؤرخ الادب عام ٢٥٠٠ فى شعرنا ومسرحنا اى دليل على ان مصر كانت فيها نساء فى عهد الثورة الا روايات احسان عبد القدوس ، ومن هنا اعمية احسان عبد القدوس التاريخية وضرورة المحافظة عليه لانه آيتنا الوحيدة أمام الاجيال القادمة على وجود الجنس الآخر فى عهد الثورة • أما نجيب محفوظ فستكون رواياته مفاتيح لاشياء أخرى اشد خطرا وعمقا : ستكون مفاتيح لتشنجات اجتماعية وانسانية رهيبة على مستوى الجماعة كلها تفصح عن نفسها من خلال تشنجات رهيبة تجتاح قلوب رجال ممرورين قلقين ونساء ممرورات قلقات •

كل هذا يؤكد أن شعر عمر ابن أبى ربيعة وجميل والرقيات ووضاح اليمن والعرجى والاخطل والفرزدق •• الخ يجب ان يكون مرآة للحياة العربية فى المائة الاولى أو ما نسميه العصر الذهبى • وقد تواتر فى شعر كل هؤلاء الشعراء ١ ـ ان نساء العصر الذهبى كن يتتبعن موضات الشعر

السائدة فى ذلك العصر ٠ ٢ ـ انهن كن يتتبعن احدث الازياء ويعرفن افخر أنواع الخز والحرير من الداماسية (الدمقس) والشانتونج واللاميه والناما والموار والفـــاى الى الجيبير والدانتلا ٠ ٣ ـ انهن كن يعرفن المانيكير والبديكيـــر والمساحيق من احمرى واخضرى وأزرقى وكريم وبودرة وريميل وكحل لتزجيج الحواجب حتى تصبح العيون كعيون المهـا ، نعرف هـذا من قول ابن الرومى فى وصف الطبيعة فى رونق الربيع : « تبرجت بعد حيـاء وخفـر تبرج الانثى تصـدت للذكر » ٠ ٤ ـ انهن كن يترددن على البلاجات غالبا بـــــلا مايوهات سواء من قطعة أو قطعتين ٠ ٥ ـ انهن كن يتواصلن مع العشاق على الاقل العشاق الشعراء ، ويتواعـدن معهـم فى الخمائل والادغال وعنـد عيون المـــاء ، ويستقبلنهم فى الفراش بين المغرب والفجـر سواء فى مضارب الخيام أو فى الطوابق العليا كما حدث للفرزدق ٠ وكل هـذه الرذائل ، ان كانت رذائل ، لازمت بنات حواء من العصر الذهبى الى العصر الـذرى ، والارجح انهـا لازمتهن ايضا منـذ عصر الكهف ٠ الى العصر الذهبى ٠ هل قضيت على خرافة العصر الذهبى ٠٠ على الاقـل بالنسبة للنساء ؟

مجاهـد بن الشماخ : اذا كان هـذا حقا فهـو حـــق يراد به باطـل ٠

صانع الاقنعة : ماذا تعنى ؟

مجاهـد الشماخ : اعنى ان المعلم العاشر يشن حملـة شعواء على حضارة العرب لانـه سيىء النية • وهو يقصـد ان يزرى بهـا لحساب الاوروبيين المـلاعين الـذين دربـوه لهـذا العمل حتى نفقـد الثقة فى انفسنا ونوطىء لهـم فى بـلادنا •

المعلم العاشر : مـا هـذا ؟ هل نحن فى محكمة تفتيش ؟ هـذا الرجل يحاكم الناس بالنوايا • لم يبق الا ان يـأتى بخنجر ويشق بـه قلبى بحجة انـه يريد أن يفتش فيه • ومع ذلك فكلامى يـدل على عكس مـا يقول • كلامى يثبت ان العرب علموا اوربا مـودة البوستيش والشنيون ومارى انطوانيت وعلموها استعمال ادوات الزينة وعلموها الاستحمام فى البلاجات ••• باختصار ، علموها كل مـا تصدره الينـا الآن من اسباب الحضارة فهـذه بضاعتنا ردت الينا ، وهـو نفس ما ينادى بـه مجاهـد بن الشماخ وأبو الفتوح الصباح وبقال العروبة • علموها عن طريق بيزنطة والانـدلس ومـا بينهما • علموها وتعلموا منها •

مجاهـد بن الشماخ : انظروا ! الم اقـل لكـم ان المعلم العاشر دسيسـة ؟

كيف يقول ان العرب تعلموا من غيرهم ؟ العرب يعلمون ولا يتعلمون ، لانهم ولـدوا علماء • هـذه آراء المبشرين والمستشرقين والمستعمرين • وقـد سبق ان صبى المبشرين

ادعى ان المعرى قرأ اليونان وهو افك عظيم ، فاليونان هم الذين قرأوا المعرى رغم انهم اقدم منه • لقد أثبت بما فيه الكفاية فى الجزء الاول من كتابى « أوهام وأراجيف » ان المعرى لم يعرف هوميروس أو ارسطوفانيس أو لوسيان • وسأثبت فى الجزء الثانى منه أن هوميروس وأرسطوفانيس ولوسيان هم الذين عرفوا المعرى •

العلم العاشر: انت مضحك يا شماخ ، انت وأمثالك ، ان قلنا ان المعرى كان مثقفا يعرف اليونانيات غضبتم ، كأننا ننسب اليه عارا وشنارا • ومع ذلك فأنتم لا تفتأون تذكرون ان العربية هى التى اعطت اليونان لاوروبا فى عصر النهضة • فهل كان العرب مجرد وراقين مثل مكتبه الانجلو ومكتبة النهضة وعيسى البابى الحلبى يبيعون المخطوطات اليونانية للاوروبيين دون ان يعرفوا ما بداخلها؟ طبعا لا ••• فقد كانوا أولا وقبل كل شىء مثقفين فى اليونانيات عارفين باليونانية • ومادمنا نتحدث عن أمور الحب فى العصر الذهبى ، فأنا اقرر هنا أمام جميع الحاضرين ان أمرأ القيس كان يعرف اليونانية ••• فنحن نقرأ فى « الاغانى » ان امرأ القيس طلب الى السموأل ان يكتب الى الحارث الغسانى أن يقدمه الى قيصر ، فلما انتهى امرؤ القيس الى قيصر اقام فى بلاطه مكرما وعينه قائدا

على جيش من جيوشه وكانت له عنده منزلة حتى افسد ما بينهما عدو له يدعى الطماح . قال الطماح لقيصر : « ان امرأ القيس ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل فى ذلك اشعارا يشهرها بها فى العرب « فيفضحها ويفضحك » وحتى لو افترضنا ان امرأ القيس كان يباهى بذلك من باب الفشر ، فهل يعقل أن يقيم عاما كاملا فى بلاط امبراطور بيزنطة دون ان يتعلم اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان حمارا كبيرا . وحتى لو افترضنا انه كان يستخدم ترجمانا اثناء اقامته فى بلاط ملك الروم يترجم بينه وبين قيصر ، فهل يعقل أن قيصر كان يأتمنه على قيادة جيش من جيوشه اذا كان لا يتقن اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان قيصر حمارا اكبر لانه عين فى جيشه جنرالا لا يستطيع قراءة أوامره وفرماناته ومراسيمه ، بل ولا يستطيع ان يتفاهم مع الصف الثانى والثالث من العمداء والعقداء والنقباء أو يجلس معهم فى مجلس حرب دون مترجمين . وحتى لو افترضنا ان قيصر كان حمارا كبيرا وان امرأ القيس كان حمارا صغيرا فكيف كان امرؤ القيس يطارح ابنة قيصر الغرام وهما معا فى بيزنطة ؟ فى الفراش طبعا لغة الاشارة تكفى ، ولكن هل يعقل انهما لم يخرجا قط من الفراش أو انهما لم يلتقيا ابدا الا فى الفراش ؟ وبأية لغة كان يراسلها وتراسله ؟ بالعربية التى لا تعرفها أو باليونانية

التى لا يعرفها ؟ بئس هذا الغرام الذى يحتاج دائما الى وسيط • ثم اننا نعرف انه مات ودفن فى قلب بلاد الروم • وهذا يدل على انه تردد على بيزنطة اكثر من مرة ، مات بالحلة المسمومة التى خلعها عليه قيصر حين غضب عليه ••• مات ميتة اسطورية تشبه ميتة كريوزا حين خلعت عليها ضرتها ميديا الثوب المسموم فى حكاية ياسون المشهورة • ان اى حمار فى ظروف امرىء القيس كان لابد ان يتعلم اليونانية قراءة وكتابة • بل الارجح انه تعلمها اصلا وهو صغير لانه من ابناء الملوك وتربية الامراء لم تخل من تعلم اللغات الاجنبية ومن استعمال السلاح الا فى أندر الاحوال • انا اقول لكم انكم تقتلون تاريخ العرب وادب العرب لانكم لا تفهمون ما تقرأون بل ترددون كل ما جاء فى الورق الاصفر كالببغاوات ، وكأنه تعاويذ مختومة لا يجوز لاحد فض اختامها خشية ان يضيع سحرها • ان اشد الناس خطرا على تراث القدماء هم سدنة تراث القدماء ، لانهم الهوا السلف فحنطوا حضارة السلف وفضلوا الماضى على الحاضر وقطعوا جذورنا وجعلونا كأطفال يتامى يبكون حول تابوت بديع وهم لا يعلمون ان اباهم لا يرقد فيه رقدة الموت ولكن ينام فى غفوة من سبات عميق •

صانع الاقنعة : انهض ، انهض يا اوزيريس انا

ولـدك حوريس • جئت اعيـد اليـك الحياة • لم يـزل لـك قلبك الحقيقى • قلبك الباقى • كفى • كفى • لقد اثرت فينا الاشجان وانسيتنا الابتسام • ارجو يـا سادة ان تتذكروا فى المـرة القادمة أن من يضحك كثيرا يحتفظ بشبابه طويلا • فاضحكوا واضحكوا وان لم تجـدوا مـا تضحكون منـــــه فاضحكوا من انفسكم ! والى ان نلتقى مرة اخـرى • رفعت الجلســـــة •

× المحاورة الرابعة ×

فردوس القطط والكلاب

بعد أن افتتح الرئيس ، صانع الاقنعة ، الجلسة لادارة المحاورة الرابعة ، تنحنح قليلا وقال انه قد جاءه طلب باقفال المناقشة فى هذا الموضوع التافه المستهلك ، موضوع المراة ، واقتراح باجراء التصويت فورا من بازرعة بن شخبوط وهو من اقصى اليمين ، والملوك الشارد وهو من اقصى اليسار (واليمينواليسار هنا اوصاف جغرافية لا سياسية) . وهنا حدث هرج شديد لان خولة المايسطرية والماركسية المسخسخة ساءهماان يقال ان موضوع المراة موضوع تافه . وصاح الشاب الظريف ابو سنة دهب لولى يطالب بفتح باب المراة الى الابد وايده فى ذلك خليع القبيلة بجلبة شديدة لفتت نظر الحاضرين ، وكانت حجتهما فى ذلك انهما اختصاصيان فى المراة عمليا وانهما يحبان ان يستكملا معارفهما النظرية عنها . وكان تاجر البهارات يراقب كل هذا

ويبتسم في خبث واعطى الشاب الظريف شيئا من لبان الدكر واعطى خليع القبيلة جوزة من جوز الطيب فزاد تهيجهما واخذا يهتفان « تحيا المرأة الذهبية ! » « اليتا بالمرأة الذهبية ! » وهنا تدخل السندباد الجديد ملطفا هذا الهرج بقوله :

ـ المعلم العاشر والمجاهد والشماخ وأبو الفتوح الصباح اكتفيا بدراسة احوال المرأة من خلال صورتها فى الادب والحقيقة ان الادب لا يعطينا الا بروفيل المرأة • وأنا اقترح ان يرسم لنا أحد صورتها فى علم الاجتماع • انا لا اقول ان العلم فضلوه عن الادب ، ولكن المنهج العلمى ادعى لدقة المعرفة ووضوح التفكير •

الايدلوجى الفهلوى : انا مستعد لرسم صورة المرأة فى علم الاجتماع • أنا درست •••

المعلم العاشر : أنا اعترض • ليس بيننا واحد مؤهل فى هذا العلم •

صانع الاقنعة : هل ندعو استاذا من الجامعة ؟

المعلم العاشر : لا • انا اعرف كل اساتذة الاجتماع الدكتور ارزز لا يعرف شيئا خارج دوركهايم ، والديك الجبار لا يعرف شيئا خارج ابن خلدون والدرفيل الوديع سيثرثر ثرثرة لطيفة عن استاذه ايفانز بريتشارد • اقترح ان ندعو بعض الخبراء الاجانب : جيمس فريزر ومالينوز

فسكى وايفانز بريتشارد وراد كليف براون وهـــانز ليخت أيضـــا اذا أمكن ولوينسون ٠

صانع الاقنعـة : ما كل هـذا ٠ واحـد يكفى ٠

المعلم العاشر : ماليوفسكى اذن ٠ هـاهو ذا بالبـاب أو على الاصح شبحه مـا أن فكرنا فيه حتى حضر بسرعـة ضـوء الفكر ٠

صانع الاقنعـة : ادخـل يا ماليوفسكى ٠

مجاهـد بن الشماخ : أنـا اعترض على دعوة هـذا الافاق الدولى عـدو العرب ٠ انـه أوروبى نجس ٠

صانع الاقنعة : اسكت يا شماخ ٠ مهنتك ٠

ماليوفسكى : عـالم اثنولوجيا ٠

ابو الفتوح الصباح : وما هـذه الاثنولوجيا من فضلك؟

ماليوفسكى : علم دراسة خصائص الشعوب ٠

ابو الفتوح الصباح : سبحان اللـه ٠ انـا لم اسمع ابـدا بهـذا العلم ٠

ماليوفسكى : كانوا فى القرن التاسع عشر منـذ داروين يـدرسون شيئا اسمه الانثروبولوجيا اى علم الانسان أو الجغرافيا الجنسية كما تسمونها فى بلادكم ، وكانـوا يـدرسون الاجناس البشرية دراسة غريبة بقيـاس جماجـم الناس وانوفهم وأطوال عظامهم وانواع شعرهم وتصـنيف فصائل دمهم ، كل ذلك لتحـديد الفوارق والجوامع بـين

الاجناس المختلفة لمعرفة مـا اذا كانت الاجناس من اصـل واحـد • ثـم خطرت للبعض فكرة طريفة وهى ان يدرسـوا عـادات الشعوب وخصائصهم الاجتماعية بـدلا من التركيـز على خصائصها السلالية • وسموا هذا انتروبولوجيا اجتماعية والحق انى لا اعرف بالضبط الفرق بين هـذه الانتروبولوجيا الاجتماعية ومـا نسميه اليوم الاثنولوجيا • كلهـا اسـماء مضحكة • المهم ان علماء الانثروبولوجيا الطبيعية بالغـوا فى أحكامهم على سلالات الشعوب لمجـرد استعمالهم المساطر والبراجل واخـذوا يصدرون الاحكام على البشر • وكان طريفا ان نرى دعاة النازية فى البـلاد الاخرى يؤمنون بهـذه النظرية رغم انهـا تثبت تخلفهم الفطرى • مثلا فى مصر ، فى الاربعينات صفق بعض الناس للنازية رغم أنها تضع المصريين فى المرتبة العاشرة والعرب فى المرتبة العشرين من درجات التخلف الفطرى الـذى لا يجـدى معه تعليم • ولمـا رأينـا استفحال خطـر هـذه المـدرسة رأينـا من واجبنا ، نحن دعـاة الانثروبولوجيا الاجتماعية ، أو الاثنولوجيا ، ان نهاجمها بقسوة ، لا سـيما واننـا من انصار الديمقراطية ومن دعـاة المساواة بين البشر فاثبتنا ان كل حديث عن السلالة خرافة فى خرافة لانه ليست هنـاك سلالات صافية وكل شعوب الارض بزرميط بسبب الحروب والهجرات المتواصلة ، وأعلنا أن علم الإنسان لا يكون علما الا اذا كف عن قيـاس اللحم والـدم والعظم ووقف عنـد

to: www.al-mostafa.com

دراسة عادات البشر ونظمهم الاجتماعية : مثلا نظام الاسرة نظام التوريث • نظام الحكم • نظام السحر • طقوس العبادات • نظام البغاء • طقوس الافراح والمواليد وكل ما يدخل فى باب « الثقافة » و « الحضارة » و « المعتقدات » والعادات الاجتماعية • برونسلاف مالينوفسكى • فى خدمتكم • أنا مثلا مسحت ميلانيزياوبولنيزيا ، وايفانز بريتشارد مسح السودان وفسترمارك مسح شمال افريقيا واستاذنا تيلور مسح الهنود الحمر وصديقتى السيدة سيليجمان مسحت شعوب افريقيا •

مجاهد بن الشماخ : الم اقل لكم ؟ ان عندنا من هو افضل من هذا المبشر الافاق • رحم الله ابن بطوطة والقزوينى وابن خلدون •

مالينوفسكى : ابن بطوطة والقزوينى وابن خلدون ؟ رجال عظام • سمعنا عنهم وقراناهم من الجلدة للجلدة فى سنة اولى جامعة •

صانع الاقنعة : ادخل فى الموضوع يا مالينوفسكى • السؤال هو : ما قول العلم فى نساء العصر الذهبى ؟ هل كان نظام الاسرة مثلا فى العصر الذهبى ارقى منه فى عصرنا ؟ واحوال المراة واوضاعها هل كانت فى المجتمع الذهبى ارقى منها فى مجتمعنا ؟ نحن رأينا صورة المراة فى مرآة الادب فوجدنا ان الحال من بعضه ، وبقى ان نرى صورتها فى

مرآة العلم • لن نتضايق اذا القيت علينا محاضرة بشرط أن تكون طريفة فنحن فى الاصل أدباء كما تعلم •

مالينوفسكى : « أنا بوصفى واحدا من صفوة الصفوة فى الاثنولوجيا أقرر انى كلما التقيت بمسز سيليجمان او الدكتور لووى وكلما ناقشت راد كليف براون او كروبر ، أحس لفورى ان زميلى لا يفهم شيئا فى الموضوع ثم احس عادة فى النهاية أن هذا ينطبق على أيضا • وهذا ينصب على كل ما كتبناه فى موضوع القرابة ، وهذا الاحساس متبادل تماما » •

صانع الاقنعة : أهذا من تواضع العلماء أم هى نكتة ؟

مالينوفسكى : مطلقا • هذه حقيقة • وعلى كل حال مادمتم تطلبون رايى فسأكتفى بعرض الحقائق واستخلصوا أنتم ما تشاءون •

أين أبدا ؟ فى العصر الذهبى • طبعا انتم لاتقصدون حواء فى الجنة قبل سقوط الانسان ، فهذه المرحلة معروفة للجميع • سأبدأ اذن من نقطة غير معروفة وهى بداية تاريخ حواء على الارض أو بناتها بتعبير أدق • فأول اثر وجده علماء الآثار للمرأة على الارض كانت بعض التماثيل الصغيرة بحجم الكف التى يرجع تاريخها الى نحو٢٠٫٠٠٠ سنة ، اى فى العصر الحجرى القديم ، تماثيل لنساء ولحيوانات • طبعا المراة كانت موجودة على الارض قبل هذا التاريخ

بسنوات لا تحصى ، ولكنى اتكلم عن اى أثر مادى يدل على وجود نساء على الارض غير تسلسل الذرية • اكتشفت هذه التماثيل فى أواخر القرن التاسع عشر فى كهوف براسمبوى بجوار مدينة بايون فى جنوب فرنسا فى منطقة جبال البرانس ثم اكتشفت مجموعة اخرى من التماثيل المشابهة فى كهوف جريمالدى بجوار مدينة منتون بين الريفيرا الفرنسية والريفييرا الايطالية • وكانت هذه التماثيل تتميز كلها بطابع واحد وهو ضخامة الثديين وبروز البطن بدرجة ملفتة وبجسامة العجز لدرجة لا تطاق : ومن توأتر هذه الظاهرة ظن علماء الانثروبولوجيا أولا ان نساء العصر الحجرى كن جميعا مريضات بمرض تضخم العجز • ولكن هناك احتمالا بأن يكون هذا مجرد اسلوب الانسان الاول الفنان فى التصوير اى مجرد التركيز على اعضاء المرأة التى تتصل بوظيفة الاخصاب والمبالغة فى ابرازها كما يفعل فنان اليوم فى الكاريكاتير • فالفنان القديم لم يهتم بأن يبين فى تماثيله ملامح الوجه والقدمين ، ولم يعرف ان كانت هذه لربة الحب أو الاخصاب ام انها كانت تمثل نساء حقيقيات على كل حال فان العلماء اطلقوا على هذه التماثيل اسم « فينوس جريمالدى » نشبها بقولهم « فينوس ميلو » •

صبى النقاش : هذا يثبت ان فن النحت فن قديم جدا

ماليونوفسكى : لا شك • لا شك ، ٣٠٫٠٠٠ سنة

على الاقل ، أى ما قبل التاريخ . وفى ١٩٠٨ اكتشف عامل كان يشتغل بمد السكة الحديد فى قرية ويلندورف فى النمسا على شط الدانوب رسما أحمر طوله ١١ سنتيمترا على حجر ، وهو من نفس الفترة اى يرجع الى ٢٠٠٠٠ سنة ، وقد حفر فى الحجر بآلة حادة أو ازميل ، ويقال انه اقدم نموذج معروف من فن التصوير وهو من حيث التكوين مشابه تماما لنساء فرنسا وايطاليا منذ ٢٠٠٠٠ سنة على الاقل فى خيال الفنان : نفس الاثداء الجسيمة والبطن الجسيمة والعجز الجسيم ، صورة مقززة طبعا بالنسبة لاذواقنا . ولكن الغريب ان هذه الكتلة من الشحم كانت تلبس سوارا على كل ذراع من ذراعيها وشيئا يشبه الحلية على الراس يظن انه كبود . تصوروا ! حتى فى العصر الحجرى القديم تفكر المراة فى زينتها قبل ان تستر جسدها ! وغير معروف ايضا ان كانت « فينوس ويلندورف » او حواء النمسا تمثل صورة كاريكاتورية ام امراة حقيقية . كذلك عثر علماء الآثار فى استوريتز على صورة محفورة فى الحجر من نفس الفترة تمثل منظرا غراميا: رجل عار ينظر فى ضراعة الى امراة عارية وقد رفع يديه وكانه يتوسل ، وعلى فخذ المراة رسم الفنان سهما رمزا لرغبة الرجل ، والوضع كله محترم ويوحى بأن الفنان الاول لم يكن متبذلا كبعض فنانى اليوم ، ويثبت أن انسان

العصر الحجرى القديم كان لا يخلو من الرومانتيكية · وقد تصور فريزر وريناخ كعادتهما فى كل هذه التماثيل والنقوش انها لربات الحب والاخصاب ، او بقايا لديانة تقوم على عبادة المرأة اختلط فيها السحر بالدين · أما الحقيقة فلا يعلمها الا الله · ولا يقل اهمية عن ذلك تلك الصورة التى وجدها علماء الآثار بكهف فى فالنسيا بأسبانيا عمرها ١٦٫٠٠٠ سنة ، اى من العصر الحجرى الوسيط ، والصورة تصور امرأة تعمل ، فهى واقفة على سلم صنع من حبال مجدولة ، تجمع الشهد من خلايا النحل لتضعه فى سلتها ولكن جسم هذه المرأة نحيل جدا وهو من الطراز الافريقى ·

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : هذه معلومات ممتازة اذن فلدينا دليل يقينى على ان المرأة كانت تعمل كالرجل تماما ، على الاقل منذ ١٦٫٠٠٠ سنة · وهذا وحده كاف لاخراس كل المعترضين على خروج المرأة لميدان العمل · أنا دافعت عن حق العمل للمرأة فى احد مؤلفاتى على الاساس البيولوجى لا على الاساس الانثروبولوجى · حولت رجلا الى امرأة وامرأة الى رجل لاثبت حق المرأة فى العمل فظن الاغبياء انى ادعو لحق الرجل فى الحمل وانا اقطع بأنها كانت دسيسة رجعية ·

ابو الفتوح الصباح : مهلا ، مهلا ، لو فكرت جيدا فى الصورة لوجدت ان المرأة لم تكن تعمل طبيبة او محامية

أو مهندسة أو موظفة ولكن كانت تعمل فى جمع الشهـــد ، أى تعمـــل فى التدبير المنزلى وهـذه بالضبط هى الوظيفـة الطبيعية للمراة كما قلنـــا ، وان تجمع المراه الشهد ؟ طبعـا لزوجها واطفالها · وهـذا بالضبط ماندعواليـه : ان تجمع المراة الشهد لزوجها واطفالها · وان تعمل وتعمل وتعمل ولكن فى التـدبير المنزلى فقط · برافو يا خواجه مالينوفسكى ، لاشك ان العصر الحجرى الوسيط كان عصرا ذهبيـا وانتـم تسمونه بالخطـأ عصرا حجريا ·

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : مهـلا · يـــا ابـا الفتوح ياصـباح · أنـــا موافق على ان تعمل المراة فى التـدبير المنزلى فقط ، ولكن على مستوى الدولة كلهـا ·واذا كانت المراة منّـذ ١٦ر٠٠٠ سنة تجمع الشهد بيـــديها فى سلتهـا لاسرتها بوسائل الانتاج البدائية هـذه فقـد تقدمت وسائل الانتـاج بعـد ١٦ر٠٠٠ سنة واصبح فى امكانها اليوم ان تـدير مصنعا لانتاج العسل الطبيعى والصناعى وكافـة انواع المربات وتعليبها بالوسائل الآليـة فى البرطمانات او الصفيح للاسرة الكبيرة وهى اسرة المجتمع كلـــه بـدلا من حجزهـا فى بيت سيادتك لتصنع لك وحـدك مربة الخـوخ والمشمش ولـكى تتمكن المـراة من ذلك يجب ان تدخل كلية الزراعة · وقياسا على هذا يمكنهـا تربية العجول والاغنام وانتـاج السمن والزبـد والجبن للامـةكلهـا بـدلا من تربية

ديـك ودجاجتين فقط على سطح سيادتك • أيها التقدميون ! اهتفوا معى : فلتحيـا الاثنولوجيا ! فلتحيـا الانثروبولوجيا الاجتماعية !

مالينوفسكى : أنـاسعيد بهـذه المقاطعات أيها السادة وارجوكم ان تقاطعونى كلما استطعتم ، فهـذا أولا يريحنى من الكلام المتواصل فى شيخوختى ، وهو ثانيا يتيح لى البقاء فى بلادكم الجميلة هـذه اطول مـدة ممكنة ، وهـو ثالثـا يعطينى فرصة ذهبية لدراسة مجتمعكم البـديع اثنولوجيـا فأنـا ارى أمامى نماذج بشرية ممتازة وغرائب فى التفكيـر والسلوك تستحق الدراسة والتسجيل • مثلا كل هـذا الانفعال الجميل بسبب ان المرأة تعمل أو لا تعمـل ، نحن نسينا هـذا الانفعال فى اوربا منذ مائتى سنة بالضبط ، اى منـذ الانقلاب الصناعى • واذا كان يهمكم ان تعرفوا تاريخ العمل بالنسبة للمرأة ، فالمرأة العاملة بالمعنى التـام بـدأت منـذ انتهـاء عصر الصيد وابتداء عصر الزراعة ، اى منـذ نحـو ٧٠٠٠ سنة ، أمـا عصر الرعى فلا داعى للكـلام عن العمل فيه سواء بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمرأة لان الرعاة قـد يحسنون المشى أو ركوب الخيل والابل أو الغزو والسطو ولكنهم لا يعملون بتـاتا وكانت أول الاعمال التى قامت بها المرأة رسميا منـذ ٧٠٠٠ سنة هى البذر والحصاد وصناعـة المنسوجات • وأعتقـد ان المرأة لا تزال اليوم تزاول فى ريفكم كل هـذه الاعمال •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : وبنـــاء عليـــه يجب ان نطالب للمرأة بادارة اراضى الاصلاح الزراعى وبادارة مصانع النسيج فى المحلة الكبرىوكفر الدوار وشبرا الخيمة ٠ بهـذا نمارس المرأة نفس الاختصاصات التى كانت تمارسها منـذ ٧٠٠٠ سنة ٠

مالينوفسكى : هـذا شأنكم وانـا لا ادخل فيـه والا قلتم عنى انى عميل ، نحن نشكو اليوم من ان نســـــاءنا يحكموننا ٠ انا مثلا كنت اسلم كل مرتبى لمسز مالينوفسكى ولا استطيع ان اتأخر فى النادى أو البار بعد الساعة العاشرة وهو موعـد اغلاق البارات فى انجلترا ، وعنـدما اريـد أن اسمع باخ وموزار تفرض هى على ســـــماع تشايكوفسكى وشوبان لانهـا رومانتيكية فأحس بحـاجة الى القىء ٠٠٠ حتى الوان بـدلى وكرافتاتى تختارها لى ٠ ولكن صدقونى ، ان الحالة كانت اسوأ بكثير فى مجتمع العصر الذهبى ، اليس هـذا ما تقصدون ؟ اى عصر قـديم هـو العصر الذهبى ؟ كانت الحالة اسوأ بكثير فى مجتمع ما قبل التاريخ أو عـلى الاصح قبل اكتشاف الزراعة ٠ فقـد كان النســاء يحكمون الرجال حكما رسميا لا مجرد حكم مجازى ، واقمن فى قبائل كثيرة نظـاما سياسيا واجتماعيا يسمى « الجيناوقراطية » اى « حكومة النساء » وهو مثل قولنـا « ارستقراطية » لحكم الاشراف « ديموقراطية » لحكم الشعب ٠ وقـد اكتشف

علماء القرن التاسع عشر أن سبب قيام هذا النوع من الحكم هو نظام الزواج على المشاع فى مجتمعات انسان ما قبل التاريخ وفى مجتمعات الفطرة وقد بقيت بعض آثار هذا النظام فى بعض مجتمعات الانسان التاريخى • وفكرة الزواج على المشاع طبعا فكرة تصدم الشعور ، ولكن اذكروا أنه لاشعور فى العلم ، ثم ان بعض الفلاسفة المثاليين المحترفين من امثال أفلاطون دعوا لها • وافلاطون فى « الجمهورية » اوصى بتطبيق الزواج على المشاع بين طبقتين فى المجتمع : الطبقة الحاكمة وطبقة الجنود ليكون النسل أبناء الدولة بالمعنى الحرفى لا بالمعنى الجازى ، وأوصى بنظام الاسرة فقط للطبقة الثالثة وهى الطبقة الوسطى أو الطبقة البورجوازية من ارباب المهن والحرف • على كل حال نظام الزواج على المشاع ترتب عليه طبعا ان الاب كان غير معروف وان ولاية الام على الابناء كانت تامة ، وهذا اكسب المراة مكانا ممتازا فى المجتمع وبهذا انفردت بالسلطة السياسية والسلطة المدنية اذا اردتم ان تسموا هذا المجتمع « مجتمع القطيع » فلا بأس من هذه التسمية ، كذلك كان للنساء سطوة عظيمة فى إقتصاديات المجتمع عن طريق التدبير المنزلى وغير المنزلى •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : انا اتلمظ • ابو الفتوح الصباح يضع على تسمية هذا المجتمع بالمجتمع

الـذهبى • هـو يمجـد الفطرة اعطه مزيـدا من الفطرة يـا خواجة مالينوفسكى •

ابـو الفتوح الصباح : اعـوذ باللـه ، اعـوذ باللـه •

مالينوفسكى : كانت حكومة النساء تستند الى مبـدأ شرعى اسمه « الحق الاموى » باللاتينية « يوس ماترنوم » وكان اول منلفت النظر الى وجود هـذا النظام الاموى مبشر جزويتى اسمه لافيتو ، كان فى اوائل القرن التاسـع عشر يـدرس قبائل الهنود الحمر فى امريكا الشمالية ووجـد هـذا النظام ممارسا بين الهنود الحمر •

مجاهد بن الشماخ : الم اقـل لكـم ؟ المبشرون دائما وراء هـذه الافكار الحقيرة المفسدة •

مالينوفسكى : لا تغضب يا سيدى • انت على حق الى حـد مـا ••• هكذا بدا الامـر فى اول الامر ، لانه لم يتجول فى المجتمعات البدائية غير المغامرين والمبشرين • منابع النيل مثلا اكتشفها المبشرون وبعض المغامرين المجانـين ، وربمـا بعض الجواسيس المثقفين ،فهـل معنى هـذا ان منابع النيل غير موجودة ؟ لمـاذا لا تتشبهون بنـا ؟ انتم ترسلون بعثات تبشيرية لنشر الاسلام فى افريقيا الاستوائية وترسلون بعض الملحقين والمـدرسين ورجال العلاقات العامة ولو ان كل واحد من هـؤلاء درس عادات القبائل الزنجية التى يتصـل بهـا ولهجاتهـا ونظمهـا وديانتها وكتب عنهـا تقـارير لوزارتى

الخارجية المصرية والتعليم بدلا من كتابة التقارير والشكاوى فى زملائه ، لاستفاد علم الانثروبولوجيا الاجتماعية فائـــدة عظيمة • وعلى كل حال فالاوربيون كانوا منـذ ١٥٠ ســنة مثلكم تماما ، فحين اعلن الاب لافيتو نظريته عن المجتمـــع الاموى (نسبة الى الام لا الى امية) صدمت آراؤه ابنـــاء عصره ولم يقتنع بهـا الا الاقلون • حتى نشر باخوفن الالمانى كتابه المعروف « الحق الاموى » فى ١٨٦١ فأحدث كتابه زلزلة كبيرة فى أوروبا كلهـا واعتبرت آراؤه اكتشافات اجتماعيـة خطيرة • كانت نقطة الابتداء عند باخوفن مارواه هيرودوت من أن أهـل ليسيا كانوا يسمون ابناءهم باسم أسرة الأم ، نأخـذ يجمع الشواهد من التاريخ ومن المجتمعات البدائية ومن آداب القدمـاء ، وتوصـل الى وجود مجتمعات عـديدة تحكمهـا المرأة ونظام الارث فيهـا يتبع الخط الاموى • وحتى فى بـلادكم الجميلة اشتبه بعض العلماء فى ان اسماء القبائل المؤنثة مثـل ثعلبه ومرة وقضاعة وامية ليست الا بقـــايا مجتمعات اموية قديمة جـدا فى شبه جزيرة العرب كانت فيها حكومات نســاء وبقيت الاسماء بعـد انتقال هـذه القبائـل الى مرحلـة المجتمعات الابوية • ولـم يكن باخوفن هـذا رجلا تقدميـا يطالب بتحرير المرأة واشراكهـا فى مسئوليات الحـكم بالحق وبالباطل بـل كان على العكس من ذلك رجـلا محافظا ينظر بامتعاض الى سيادة المرأة ويعتقد انها مرحلة تخلـف

وانحطاط وبدائية · فالطبيعة حقيقة جعلت المرأة هى الحاكم الطبيعى فى الاسرة والمجتمع ··· وسيادة الرجل المتأخرة تقوم على الاغتصاب فى التنظيم الاجتماعى ، ولكنه اغتصاب كان فى مصلحة الانسانية وتقدمها · فعند باخوفن ان المراة مساوية للفطرة والجسد بينما الرجل مساو للمدنية والعقل وسيطرة العقل والمدنية طبعا ارقى من سيطرة الجسد والفطرة · هذا على كل حال راى باخوفن وحكمه وليس رايى وحكمى فانا ليست لى آراء واحكام · انا فقط اسجل واجمع وادرس ولكنى لا اصدر احكاما · وطبعا هلل الذكور منذ مائه سنة لنظريات باخوفن لانها نادت بامتياز الرجل على المراة ، ولكن الذكور فى أوروبا كانوا اغبياء لانهم لم يفهموا ان كلام باخوفن رغم ارضائه لغرورهم كان اول معول حقيقى قوض سلطان الرجل فى العالم لانه زعزع ايمان الناس بسيادة الرجل سيادة ازلية ابدية وعرف الناس ان الرجل لم يكن دائما حاكما فى الاسرة وفى المجتمع · والحاكم الطارىء يمكن ان ينزع منه الصولجان ، فهو قابل للعزل او التنازل ·

ولم يلبث الاثنولوجى الامريكى مورجان ان دعم نظريات باخوفن فتتبع تحول مجتمع قبيلة من الهنود الحمر هم الايروكوا من نظام الحق الاموى الى نظام الحق الابوى فى زمنه وكتب عنها ودرس شيوعية الزواج فى مجتمعات

القطيع وظهور بـدايات التنظيم الاجتماعى فى مجتمع الصيد حيث قسمت كل قبيلة الى مجموعات ، كل مجموعة رجالهـــا حرم عليهم ان يتزوجوا من نسائها ولكن أبيح لهم ان يتزوجوا من نساء المجموعات الاخرى ، مع بقـاء الزواج جماعيـــا لا فرديا ، وهو مـا ابقى المجتمع تحكمه المراة فى كل مـا يتصل بعلاقات الاسرة وبالتوريث نظراً لعـدم تحديد الآباء • ولكن مـا ان تطورت وسائل الانتاج بحيث امكن للفرد ان يستغنى عن الجماعة حتى ظهر التخصص فى الزواج ، أى ظهرت الاسرة بالمعنى الحديث كنتيجة مباشرة لظهور المـلكية الفرديـــة • وانتقلت السيادة للرجل باعتبار أنه الاقوى والانشط فامتلك الرجل المراة وفرض عليها التخصص لـه بينما احتفظ لنفســه بحق التعـدد الى مـدى ملكيته لضمان انتقال الارث الى أولاده هـو لا الى اولاد الرجال الآخرين • وهكـذا انتقـل المجتمع من النظام الاموى الى النظام الابوى بظهور المـلكية الخاصة ومعـه ظهر نظام الرق الـذى لم يكن معروفاً فى الشيوعيـــة الاولى ، ظهر نظام الرق لمـا للرقيق من قيمة اقتصادية فى فلاحـة الارض والزراعة بوجه عـام • وبهـذا كان اكتشاف الزراعة هـو الخـط الفاصل بين مرحلتين فى تاريخ البشرية مرحلة الشيوعية البدائية ومرحلة المـلكية الفردية وهكـذا كانت مرحلـة الملكية الفردية بدايـة ظهور نظامين من اهـم النظم الاجتماعية التى عرفتها الانسانية : نظام الرق ونظام

الاسرة حيث الرجل لا المراة هو راس الاسرة وراس القبيلة وراس الدولة وراس كل تنظيم اجتماعى · وتوالت الدراسات لتؤيد جوهر هذه النظرية بين الهنود الحمر والاسكيمو وزنوج افريقيا واليونان والرومان ومصر القديمة وسكان ميلانيزيا وبولونيزيا ··· الخ · اراكم تتثاءبون يا سادة متأسف انى لست مسليا بالشكل الكافى ·

القط الاسود الاليف : لا · لا · هذا الكلام مثير · انا شخصيا متحمس · انا رايت بعض مظاهر الزواج الشيوعى بين الشلوك والدنكا عندما زرت الملكال فى العام الماضى · وانا شخصيا غير مهتم بالتنظيم الاجتماعى ، ولكنى مهتم بالتكوين النفسى لفطرة الانسان · الحب والغيرة ·· كل فنان يجب أن يهتم بالحب والغيرة · ورأيى ان انسان الغابة ارقى من انسان الفيللا ··· انا بورجوازى ولكنى متحمس لهذا الكلام ·

مالينوفسكى : على العموم انت لست وحدك المتحمس قبلك فى القرن التاسع عشر التقط آباء الشيوعية كارل ماركس وانجلز وبيبل كلام مورجان ورفعوه راية لتحرير المراة · انجلز وبيبل بالذات اقاموا المظاهرات ـ فى الكتب طبعا ـ لاراء مورجان وفصلوا منها ثوبا غريبا على قامة نظريتهم الشيوعية : مادام نظام الاسرة وسيادة الرجل قد ظهرا

ـ كنظام الـرق ـ بظهـور الملكية الفردية فباختفاء الملكية الفردية سيختفى نظـام الاسرة وستختفى سيادة الرجـل وسيختفى نظـام الـرق • فى البـدء كانت شيوعية الفطـرة وفى النهـاية ستكون شيوعية المـدنية • الملكية العامـــة لوسائل الانتاج ••• الآلى والحيوانى والنباتى ••• الفكرة رومانتيكية غريبة وتشـبه البيوت التى يبنيهـا الاطفـال بالمكعبـــات •

ابو الفتوح الصباح : الفكرة حيوانية حقيرة •

ابن سيركوف : الفكرة صحيحة نظريا ولكنهـا سـابقة لاوانهـا عمليـا •

ابن ماركـوف : الفرق بين زراعـة أبنـاء الاسرة وزراعة أبنـاء الدولة هـو الفرق بين الكولخوز والسـوفخوز • وبالتقـدم من الاشتراكية الى الشـيوعية ستتقـدم من الكولخوز الى السوفخوز • الفكرة صحيحة نظريـا كما قال ابن سيركوف ولكنها سابقة لاوانها •

ابـو الفتوح الصباح : يا صانع الاقنعـة هل أنت نـائم ؟ أرحنـا من هـذه الحقـارات والتهجـم على المقدسـات والا خلعت هـذا الحـذاء ، اطرد هـذا الخواجه وكل هـؤلاء الضبيـة •

مالينوفسكى : ولمـاذا تطردنى ؟ انـا من رأيك ولـكن لغير الاسباب التى تبديها • نحن فى أوربا نرد على العـلم

بالعلم ونرد على المقدسات بالمقدسات • كنا مثلكم واغضع منكم ، نغضب اذا لم يعجبنا كلام الغير ونعقد محاكم التفتيش ونحرق خصومنا فى الرأى على الخازوق • ولكننا اكتشفنا ان الاضطهاد ، للافكار كالزيت للنار يزيدها اشتعالا كما حدث فى تاريخ الايان والمذاهب الكبرى وتعلمنا الدرس فعالجنا هذه المسائل بالمؤتمرات والندوات ••• بالحوار • بالحوار فى الكتب وفى الصحف وفى القاعات وفى الاذاعة والتليفزيون وهم يفعلون مثلنا فى امريكا ، وقد بلغنى انهم اخذوا بهذا المبدأ ايضا فى الاتحاد السوفييتى بعد موت ستالين • المسألة بسيطة • نحن اكتشفنا ان القردة العليا متخصصة فى الزواج وان هذا من اسباب تقدمها على القردة السفلى كالشمبانزى مثلا • اكتشفنا ان التخصص فى الزواج أو ما نسميه نظام الاسرة ليس اختراعا بورجوازيا كما يقول بعض الشيوعيين ولكنه اختراع انسانى عظيم لا يقل مثلا عن توليد النار أو اختراع العجلة او تفتيت الذرة ، وهو السبب الاول او من الاسباب الاولى فى الانتقال من ما قبل التاريخ الى التاريخ لان تحويل القطيع لوحدات صغيرة اسمها أسر كان معناه تعيين معلم او معلمة بالمجان فى كل بيت ، ملايين المعلمين دون ان يدفع المجتمع قرشا واحدا من مرتباتهم ، معلم ومعلمة على كل عشرة اطفال • باختصار ضاعفنا عدد

المعلمين فى المجتمع ، لان الطفل فى زواج القطيع لا تربيه غير امه ، وهى عادة مشغولة بأعمال الاسرة المباشرة • أما فى مجتمع الاسرة فالاب يساعد الام فى تربية الطفل • وبعد فترة الحضانة يصبح المعلم الاب انفع للطفل من الام المعامة لان الأم تعلمه كيف يستهلك اما الاب فيعلمه كيف ينتج • المسألة ليست ان امتياز الرجل على المراة هو الذى خلق الحضارة كما كان يقول باخوفن • المسألة أن مجتمع الاسرة ضاعف عدد اعضاء هيئة التدريس فيه فنشأت الحضارة وقد ثبت بالتجربة أن الوالدين بوجه عام اخلص فى تعليم الابناء من الغرباء لانهم أولا يرون انفسهم من ابنائهم ولانهم ثانيا متفرغون لهم • وكل هذا بالمجان • تصوروا • وانتم فى مصر شعب حكيم ، فقد بلغنى ان عندكم مثلا يقول فى وصف خيبة الامل : « يابانى فى غير ملكك يا مربى فى غير ولدك » • واذا كان عقوق الابناء مشهورا فما بالكم بعقوق أبناء الغير ! باختصار : نظام الاسرة كان ثورة تربوية وتعليمية • وهذه الثورة ساعدت على نقل الانسان من الهمجية الى المدنية • صحيح ان ظهور نظام الاسرة ترتب على ظهور نظام الملكية الخاصة ولكن العودة لنظام الملكية العامة لا يستلزم بالضرورة العودة لنظام الزواج الجماعى هذه تكون غباوة لان معناها التنازل ..اختياركم عن نحو ثلاثة ملايين مدرس خصوصى متفرغ مجانى • وفى

الهوجة الشيوعية الاولى ظن الروس حتمية الزواج الجماعى مع حتمية الملكية الجماعية لمجرد انهم قرأوا هذا الكلام فى انجلز وبيبل ثم تخلصوا فورا من هذه الحرفية الصبيانية وحافظوا على نظام الاسرة بعد أن عدلوا بعض قوانين الزواج البالية • وهذا ما فعلناه نحن أيضا عدلنا بعض قوانين الزواج البالية وحافظنا على نظام الاسرة ••• لا تخافوا يا سادة • أنا لست شيوعيا ولكنى اقول لكم انه ليست هناك علاقة حتمية بين الملكية الجماعية والزواج الجماعى والا كانت العودة الى الشيوعية الاولى معناها العودة الى الاسلحة الاولى أو الحياة على طريقة الهنود الحمر ويمكنكم ان تؤمموا كما تشاءون اذا وجدتم فى هذا نفعا لكم ، ولا تخافوا على نظام الاسرة • أنا شخصيا لا أوافق على نظام الملكية العامة ولكنى تتبعت بامتعاض شديد حملة التشهير بالاتحاد السوفييتى التى قامت بها صحافتنا الصفراء بين الحربين لتثبت أن الروس عادوا ـ جنسيا ـ بسبب الشيوعية الى فردوس القطط والكلاب • انهم مازالوا مثلنا اقرب الى القردة العليا •

صانع الاقنعة : هل انتهيت يا خواجه ؟

ماليونفسكى : أنا لم انته بعد ••• أنا تعبت •

صانع الاقنعة : انت ممل جدا ولكنك مفيد • سنعطيك اسبوعا كاملا للراحة ••• حتى يوم الجمعة القادم • رفعت الجلسة •

x المحاورة الخامسة x

بتاح / حتب وحمورابى وشركاهم

قال رئيس الجلسة ، صانع الاقنعة ، للخواجـــــــة مالينوفسكى : ـ تفضل يا خواجة • قـل كل ما عنـدك فى جلسة واحـدة • هـذه ليست أكاديمية ولا قـاعة محاضرات ، انمامجردحـوار فكرى ••• ثم ان بعض الاعضاء مســـتاء من تجـديد اقامتك ، ويطالب باعادتك فـورا الى وطنـك بأول طائرة •

مالينوفسكى : انا لا وطن لى • العالم كلـــه وطنى • الستم تقولون فى بـلادكم الجميلة : العلم لا وطن له ؟ أنـا عالم : اذن لا وطن لى • انظروا الى اسمى : مالينوفسكى - أى روسى بولندى • ومع ذلك أقيم فى انجلتـرا وادرس فى جامعات انجلترا واطوف بجامعات العالم •

ابن ماركوف : أبيض أو احمر ؟

مالينوفسكى : لاابيض ولا احمر ، أنـا من اللون الثالث

ابن ماركوف : وما هـذا اللـون الثالث ؟

مالينوفسكى : أنـا تكنوقراطى ، خبير من طبقة الفنيين كمـا تقولون فى بلادكم : خبير اجناس وعادات وتقاليد ، والتكنوقراطية ليس لهـا لون محـدد . هى تخـدم فى كـل نظام ، ، تماما مثـل البيروقراطية ، وتماما مثـل طبقة المديرين نحن مثـلا ندرس الاجناس أو نصنع الصواريخ أو تدعونـا البـلاد المختلفة لوضع التقارير عن مشاكل التضخم أو اختلال ميـزان المدفوعـات او الانفجـارات السكانية أو التنميـة الصناعية ، نحن لا نسأل : ما لونكم ؟ راسمالى ؟ شيوعى ؟ ثيوقراطى ؟ سمخراطى ؟ جنبلاطى ؟ فلمـاذا تسألوننا عن لوننا ؟ نحن خبراء .

مجاهد بن الشماخ : خبراء تخريب .

مالينوفسكى : نعم هـذا صحيح . بعضنا فعـلا خبراء فى نسف المعتقدات الفاسدة ، على كل حال انـا لست منهم ، لو كنت منهـم لكانت مسـز مالينوفسكى تصيف فى دوفيـل وبياريتز ولاتوكيه بـدلا من ان تصيف فى برايتون وبلاكبول مع زوجات البقالين وموظفى البنوك . انـــا مجرد خبير اجناس وعادات وتقاليد ، اذا اردتم مثلا أن تعرفوا مـــا اصل عـادة الختان عندكم رغم عـدم النص عليهـا فى ديانتكم او لمـاذا تزورون المقابر رغم نهى ديانتكم عن زيارتها ، او لمـاذا تقاومون دعـوة تحـديد النسل رغم انكم مهـددون

بمجاعة سنة ١٩٨٠ حيث سيبلغ تعدادكم ٤٥ مليونا . فأنا فى خدمتكم . كل ما أطلب هو عقد عمل خمس سنوات قابلة للتجديد لمدة اقامتى ، أنا شخصيا من نوع التكنوقراطية التى تصنع القنابل الذرية وسفن الفضاء وافكار السلام وأفكار الدمار ولا يهمها من يستعملها أو لماذا يستعملها ، ضمير مهنى ، نعم . أما ضمير انسانى فلا . نحن خدم ممتازون فى كل دولة . أو على الاصح كنا خدما ممتازين حتى الحرب العالمية الثانية ، فلما زاد عددنا بتعقد المدنية تكونت منا طبقة لا تستطيع اى دولة الاستغناء عنها ، والشعار الان فى بلادنا : يا تكنوقراطى العالم اتحدوا لتحكموا العالم ، هناك طبعا كلام فارغ كثير عن اخطارنا وضرورة الحد من شوكتنا ، ولكن كل هذه سخافات ، لانه ليس لنا بديل فى اى نظام . أنتم مثلا ، أنا أقمت بينكم اسبوعا واحدا وعرفت للفور ان عندكم مشكلة تجمع طبقى تكنوقراطى ـ بيروقراطى ـ ادارى لمكافحة تقدم الاشتراكية فى بلادكم ، وهذا مألوف ، ثم زواج مصلحة غير مألوف بين انتهازية اليمين وانتهازية اليسار ، انتم بحاجة الى خبير أو خبرا، فى التنظيم الاجتماعى أنا أرشح لكم صديقى البروفسور ..

صانع الاقنعة : ما كل هذا الاستطراد يا خواجة ؟ انت جئت لتحدثنا عن حال المراة الذهبية فى العصر الذهبى ،

فما كل هـذا اللغـو عن التكنوقراطية والبيروقراطية ؟ ... ادخل فى الموضوع والا فاسكت .

مجاهـد بن الشماخ : الم اقـل لـكم ان هـذا الاوروبى النجس لا يريد ان يعود الى بـلاده ؟ هل سمعتم ؟ انـــه بطلب عقـد عمل ... اطرده .

صانع الاقنعة : بالحسنى بالحسنى .

كاهن انوبيس : انـا احتج على الخواجة مالينوفسكى اذا استمر فى الكلام ، هـو حدثنا عن حـالة المـرأة الذهبية فيما قبل التاريخ ، وهـذا حقـه لانـه اختصاصى فى مجتمعات الفطرة الذهبية . امـا ان يدخـل فى التاريخ فهذه اسـاءة لتاريخنا ولتاريخ الجنس البشرى . اذا تكلم مالينوفسكى عن قدمـاء المصريين فسأنسحب . لن أسمح ان يعامل قدمـاء المصريين معاملة البوشمان والهوتنتوت والاشانتى . الينـا بمؤرخ .

مالينوفسكى : انتم فعـلا بحاجة لمؤرخ . الى متعهـد توريـد حضارات قديمة ووسيطة وحديثة . انـا سـعيد يا سـادة بأنكم اصبحتم تميزون بين الانثروبولوجى والمؤرخ لابـد ان هـذا حـدث بعد ثـورة ١٩٥٢ ، فقـد كنـا ايـام فـؤاد وفاروق نرسل لكم السمكرى فتعينونه مديرا للمصانع والشـاويش فتعينونه حكمدارا والمرابى فتعينونه مستشـارا ماليا . انـا اعرف طبيبا بيطريا كان يـدرس الادب الانجليزى

بجامعة القاهرة ، على الاقـل إنتم تفضلون الآن الحواة لشغل المناصب الكبرى • والحواة أرقى بكثير من هـذه الحثالة • فحواة الثقافة يستطيعون ان يثبتوا لكم ان الشيخ زبير هـو الـذى كتب اعمال شكسبير وان عباس بن فرناس هـو الذى بدأ فى غزو الفضاء وأن اللغة العربية أقدم من اللغة اليونانية وان ايخمان رسول من رسل القومية العربية وأن المسيح صلب ولم يصلب بحسب الظروف الدولية تماما مثل الحواة من كرادلة المجمع المسكونى ، وأن خوفو بنى الهرم لتنشيط السياحة وان ابا ذر الغفارى هو مؤسس المـادية الجدلية وابن خلدون هو واضع الاشتراكية العلمية • وحـواة الاقتصاد يثبتون لكـم كل يـوم بعلم السيمياء ان الرقم القياسى لنفقات المعيشـة فى انخفاض مستمر وأن القاهـرة أرخص بلـد فى العالم وأن نسبة نجـاح الخطة الخمسية ٥٠٠٠٪ وان احتياطيات مصر من البترول تربو على كل احتياطيات العالم مجتمعة ، وانـه انفع للاقتصاد القومى ان يبيع خريجو الجامعات الزائـدون الدجاج فى الجمعيات التعاونية من ان يقوموا بمحو الامية ، وأمهر هؤلاء الحـواة جميعا هم من يستطيعون ان يثبتوا ان موارد مصر تستطيع اطعام سكان الصين الشعبية ، سأنسحب فـورا أيهـا السادة • واشكركم على حسن الضيافة وحسن الاستماع • اذا اردتم مؤرخـا ، فلماذا لا تدعـون صديقى السيز جيمنث فـريزر او هيكله العظمى على الاصـح ؟

كـاهن اتوبيس : نحن نعـرف من ندعو يا خواجـة ٠ كل اساتذة جامعتنا يقولون : هاتوا روستوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : روستوف ٠٠٠ ايـه ؟

كاهن اتوبيس : روستوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : لـماذا تختار هـذه الاسماء الصعبة ؟

كاهن اوتوبيس : انـا لا اختار ، هـذا احسن الموجود٠

مجاهد بن الشماخ : أنـا معترض على دعوة هـذا المبشر المسيحى الشيوعى الامريكى ، الا ترون ان اسمه شيوعى ؟

ابن ماركوف : موافقون ٠٠٠ اى : اوف ، او ايـف اوافسكى أو انسكى موضع ثقـة فى اى علم من العلوم ٠ مثلا مندليف حجـة فى الفلزات واللافلزات وديناجيليف حجـة فى الرقص ، وليونتييف حجـة فى الاقتصاد وزينوفييف حجـة فى المؤامرات كذلك بافلوف حجـة فى البيولوجيـا وتيتـوف حجـة فى غـزو الفضاء ومولوتوف حجـة فى السياسة الخارجية وجوكوف حجـة فى الحرب ورمسكى كورساكوف حجة فى شهر زاد وشرباتوف حجة فى الفلسفة وتوجان بارانوفسكى ومایاكوفسكى ، ثم لا تنسبوا ايضا من ينتهون بمقطع اين مثل بوخارين وجاجارين وباكونين وبورودين ٠ كلهم كلهم موضع ثقتنـا ٠

ابن سيركوف: لا ٠ لا ٠٠ روستوفتسيف امريكى من اصل روسى ٠ ثم انه ليس شيوعيا ٠

ابن ماركوف : ولو ٠٠٠

مجاهد بن الشماخ : بالضبط هذا يثبت ما قلته من انه جامع النقيضين : مبشر وشيوعى ٠

صانع الاقنعة : يبدو ان الاغلبية موافقة ، ولكن لغير الاسباب التى ابداها مجاهد بن الشماخ ٠٠٠ ادباؤنا لم يسمعوا بعالم فى التاريخ القديم بعد شمبوليون وماسبيرو ومريت لان هناك شوارع بأسمائهم حول الانتكخانة ، وبالاخص ماسبيرو الذى فيه التليفزيون العربى واذونات الصرف ، وعندما تشطب الحكومة اسماءهم وتسمى الشوارع شارع احمد باشا محرم وشارع سليم بك حسن وشارع كمال الملاخ فلن يعرف ادباؤنا احدا من هؤلاء الخواجات ٠٠٠٠ القاعدة فى مصر : اسمى على شارع اذن فأنا موجود ٠ سليمان باشا الفرنساوى مثلا الغينا شارعه فالغينا وجوده ٠ هل توافقون على دعوة شمبوليون ؟

المعلم العاشر : ولكن معلوماته قديمة ٠ ادع برستيد أو اليوت سميث أو فلندرز بيترى ٠

أصوات كثيرة : موافقون ٠ موافقون ٠ الدهن فى العتاقى

صانع الاقنعة : الاغلبية موافقة ٠ أدخل يا شمبوليون

وهنـا اختفى مالينوفسكى فى طرفة عين ، ودخـل شمبوليون فى طرفة العين الاخرى ٠

شمبوليون : أنا مت منـذ ١٣٠ سنة فلماذا تزعجوننى من قبرى ؟ ماذا تريدون ؟

صانع الاقنعة : متأسفين ٠٠٠ ولكن اردنـا ان نعرف منك شيئا فى حال النساء فى العالم القديم لنقارنهن بنسـاء اليوم ٠ هنـاك بينجـامين يقول ان نساء الزمان الغابر كن افضل من نساء اليوم ، ويطالب لذلك بالعودة للزمان الغـابر انا انبـه على جميع الحاضرين ٠٠٠ ممنوع المقاطعة ٠

شمبوليون : انـا لا اعرف حكاية افضل واردأ هـذه ٠ هـذه احكام ، وانا لا اتعامل الا مع الحقائق فقط ٠

ابو الفتوح الصباح: يعنى ان نساء زمـان كن اولا يقبلن حـكم الرجال ولا يفكرن فى هـذه الـخدمات التى يسمونها اليوم تحرير المراة ٠٠٠ وكن ثانيا اكثر عفـة من نساء اليوم ٠

صانع الاقنعة : ممنوع التعليق ٠

شمبوليون : عفـة ؟ هيء ٠٠٠ هيء ٠٠٠ هيء ٠٠٠ اين ؟ فى اليونان ؟ انت لا تقصد ان هيلانة طرواده وفيدرا وجوكاستا وميديا وكليتمنستراكن نماذج فريدة فى العفة ؟ الادب اليونانى والرومانى اكثره منسوج حول نساء خائنات او ضاريات ٠ فى مصر القديمة عندكم قصة زليخـة امراة

العـزيز تتردد كثيـرا فى الادب المصرى القـديم • مكـررة بحذافيرها فى قصة الاخوين وفى قصة المراة عاشقة الفتى الذى أكله التمساح السحور وغيرها • أليس الادب مرآة الحياة ؟ أمـا فى بابل فهيرودوت قبـل نحـو ٥٠٠ ق•م (١٩٩/١) قال ان كل امراة فى بابل ، يعنى العـراق ، كانت قبل زواجهـا تذهب الىمعبـد عشتروت ربـة الاخصاب وتسلم بكارتهـا لاحـد الغرباء ، اى غريب يأتى ويلقى فى حجرها قطعـة من النقود • طبعـا هـذه كانت طقوسا دينية • نـوع من النذر كما تسمونه هنـا ، لربة الاخصاب ، او قربانا تقـدمه المراة لربـة الاخصاب ، وكان محرما عليها ان تجرب هـذه التجربة مرة ثانية بأى حال من الاحوال ، اذا كانت هـذه عفـة ، فـلا بأس ، لا بأس ، فى امريكا اليوم كثير من البنـات يقمن بهـذه الجراحة قبل الزواج عنـد الطبيب ، لاسباب صحيـة لا لاسباب دينية • تعـددت الاسباب والفعـل واحـد •

ابو الفتوح الصباح : اعـوذ بالله اعوذ بالله •

شمبوليون : اما حكاية خضوع المراة لولايـة الرجل فى العالم القديم فهى صحيحة بوجـه عام : صحيحة بين اليونان صحيحة بين الرومـان • المجتمـع الوحيـد الـذى شـذ عن هـذه القاعـدة هو المجتمع المصرى القديم •

فى معلوماتى القليلة عن تاريخ الشرق القديم ان مصر هى التى ابتدعت حركة تحرير المراة • مثلا فى برديـة آنى

(نحو ١٣٠٠ ق٠م٠) ما يثبت ان الزوج المثالى فى مصر القديمه هو الذى كان يغسل الصحون مع زوجته ويقشر معها البطاطس مثل الزوج الامريكى ، ويعاملها معاملة الند . فلا يستعمل معها « المريسه » ، آنى ، حكيم الدولة الحديثة ، يضع للازواج القواعد الذهبية للزواج السعيد فيقول :

« لا تمثل دور الرئيس مع زوجتك فى بيتها اذا كانت ماهرة فى عملها ، ولا تسألها عن شىء اين موضعه اذا كانت قد وضعته فى مكانه الملائم ٠

« واجعل عينيك تلاحظان فى صمت حتى يمكنك ان تعرف اعمالها الحسنة » ٠

« وانها لتكون سعيدة اذا كانت يدك معها تعاونها ٠٠ »

ففى عصركم الذهبى اذن كان الرجل الذهبى يعطونا عند المراة الذهبية ٠ وكانت المراة المصرية تسمى « نبت بر » اى « ست الدار » أو « ست البيت » ، ولكن النقوش والنصوص المصرية القديمة تثبت أن سيادتها تجاوزت مملكة البيت ، أو على الاصح جمهورية البيت الديمقراطية الشعبية ٠ فكانت تزرع وتقلع وتخرج الى المدرسة والى السوق وتتاجر وتزاول مختلف الحرف من الصناعة الى الصيد وتتسكع فى الطرقات بلا حارس أو شابيرون او رقيب وكانت طبعا سافرة ٠ وقد استخلص بعض المؤرخين من

ادب الغرام فى مصرالقديمة ان المرأة هى التى كانت تخطب الرجل ... على اى حال فى كل تاريخ بابل واشور لا نسمع الا عن اسم ملكة واحدة حكمت فى الرجال هى سميراميس ، مؤسسة مدينة بابل وبانية الحدائق المعلقة المشهورة • اعتقد انكم فى القاهرة اقمتم فندقا لتخليد ذكراها ، وفى اعلاه روف جاردن لتخليد ذكرى الحدائق المعلقة • أما فى مصر نقد حكمت ملكات كثيرات ، وكن ذوات سطوة عظيمة : احيانا بمفردهن واحيانا مع ازواجهن • احيانا بقوة القانون واحيانا بقوة الواقع • خذوا مثلا نايت حتب زوجة مينا ومريت نايت زوجة أوسافايس وحتشبسوت اخت تحتمس الثالث وتاى ونفرتيتى ونفرتارى ونيوتوكريس وكليوبترا •

خولة المايسطرية : لا تنس شجرة الدر يا خواجة شمبانيا •

شمبوليون : بالضبط • بالضبط • وحتى بعد انتشار اديان التوحيد كان عندكم هيلانة المصرية امبراطورة ديزنطة وأم الامبراطور قسطنطين ، وكذلك ست الملك وشجرة الدر ولو اننا نظرنا فى كل حضارات العالم القديم لما وجدنا شعبا سلم ذقنه للنساء !الملكات قبل الشعب المصرى • مجرد الاحصاء يكفى • طبعا هذا لا يدل على الضعف لانكم لاشك كنتم تضربون نساءكم عند الضرورة كما كنا نحن

نفعل منـذ قرون • ولكن هـذه مسألة أخرى • انما يـدل هـذا على ان المرأة عندكم حصلت على حقوقها السياسية من أقـدم العصور • فلماذا تشتكون ؟ ثم ان ملكاتكم عرف عنهن انهن نساء جميلات طامحات بارعات فىفنون الحب والحرب والسلام ، كمـا كن ماهرات فى الدسائس لحسابهن الخـاص ولحساب الدولة • ونحو عـام ١٥٠٠ ق•م• استشرى نفوذ النساء عندكم واضمحل نفوذ الرجال لـدرجة ان كثيرين من الملوك تحولوا الى مجردامراء يحملون لقب « زوج الملكه » على طريقة دوق ادنبره الآن فى انجلترا • وطبعـا هـذا الاسراف فى تحرير المرأة ، ككل اسراف • كان له رد فعل شديد ضـد حكم النسـاء ، فقامت حركة بقيـادة الجيش لاقصائهن عن الحكم ، وتبلورت هـذه الحركة فى النزاع المشهور بـين تحتمس الثالث واختـه حتشبسوت • ولكن المرأة المصريـة مع ذلك لم تيـأس • فبعـد ان ضاع سلطانها فى القصر حكمت مصر من المعبـد ، ونحـو القرن ٨ ق•م• اى فى الاسرة ٢٣ ، اصبحت احـدى الاميرات رئيسة الكهنـة بمعبـد آمون فى طيبة ، وكانت تستشار او على الاصح تستخار بالعرافة ، فقـد كان الاله آمون يتكلم من فمهـا وينطق بلسانها ، قبـل اتخـاذ اى قرار سياسى خطير • ولـم يكن مسموحـا لهـا أن تتزوج الا من الاله آمون ، ولكن سـمح لهـا أن تتبنى بنتـا صغيرة تـدربها لتخلفهـا فى وظيفتها • وبذلك اصبح

معبد آمون مقرا لحكومة غير رسمية فى الاقصر استمرت أكثر من ٢٠٠ سنة حتى غزا الفرس مصر ٠

والمرأة المصرية لم يقف نفوذها عند السياسة بل شملت سيطرتها فى البيت أيضا ، لدرجة ان الرحالة اليونان دهشوا من حرية المرأة المصرية واستفحال سلطانها ٠ ديودور الصقلى مثلا كتب ان طاعة الزوج لزوجته كانت من الشروط التى ينص عليها فى عقود الزواج فى مصر ٠ ولكن الارجح ان هذه كانت نكتة يونانية سمجة عن المصريين كالنكت التى يطلقها عندكم البحاروة عن الصعايدة والصعايدة عن البحاروة ، وصديقى العلامة فلندرز بيترى فى القرن ٢٠ كتب ان « الزوج حتى فى العهود المتأخرة كان ينزل لزوجته فى عقد زواجه عن جميع املاكه ومكاسبه المستقبلة » يعنى المثل عندكم فى مصر القديمة كان زواج وخراب ديار ٠ على العموم اى انسان معذور اذا استخلص هذه الصورة عن الحياة الزوجية فى مصر القديمة ، حين يقرأ فى قصيدة غرامية كلام البنت وهى تقول للولد :

« يا صديقى الجميل ! انى ارغب ان اكون صاحبة كل املاكك ، بوصفى زوجتك » ٠ فهو بمثابة قولها : « خدنى فى احضانك لانشل محفظتك » ٠ طريقة غريبة فى الغرام ، ولكنها على الاقل تدل على صراحة نساء العصر الذهبى عندكم ٠ نساؤنا اليوم يفعلن هذا ولكن بالخداقة ٠ وفى

المتحف المصرى عقد زواج من سنة ٢٣١ ق.م. بين رجل اسمه امحوتب وبنت اسمها تاحاتر نصه :

« يقول امحوتب لتاحاتر » : « لقد اتخذتك زوجة ، وللاطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك . وما سأحصل عليه الاطفال الذين تلدينهم لى يكونون أطفالى ولن يكون فى مقدورى ان اسلب منهم أى شىء مطلقا لاعطيه الى آخر من أبنائى . أو الى اى شخص فى الدنيا . ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهريا وسنويا ، وسأعطيه لك اينما اردت » . (غالبا يقصد سواء فى بيتى أو بيت أبيك او ربما فى المعمورة اثناء الصيف) . واذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة واذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة (وهذا أما رشوة لها لتبقى معه أو اعتراف بأن التعذيب العقلى افظع من التشريد) ؛ ويقول آبى : « تناولى عقد الزواج من يد ابنى كى يعمل بكل كلمة فيه ... انى موافق على ذلك » .

ثم يلى ذلك توقيعات ١٦ شاهدا على العقد . والعقد معقول لانه يعطى كل شىء للاولاد وليس لتاحاتر نفسها ، ومصادرة كل أملاك امحوتب لحساب أولاده من تاحاتر ليس له الا معنى واحد فى مجتمع كان يسمح بتعدد الزوجات : ان تاحاتر هى الزوجة « الشرعيه » الوحيدة ، وكل من سيأتى بعدها يدخل فى باب « المحظيات » وهى انجح طريقة للحد

من تعـدد الزوجات ولمنـع تفتيت املاك الاسرة ، وهـــذا مـا جعل الطلاق نـادرا فى مصر القديمة ، الا فى عصور الانحطاط وكان للمراة حق طلب الطلاق تماما مثـل الرجل حتى جـــاء اليونـان بافكارهم الاوروبية الرجعية وقصروا حق اطلاق على الرجل ايام البطالسة • • أمـا تعـدد الزوجات فلم يكـن معروفا الا فى الطبقات الموسرة • وكان ابناء الشعب يكتفـون بزوجـه واحـدة ، غالبا لضيق ذات اليـد • وقـد اكتشفت المراة المصرية الحـديثة هـذا السر ، وهـذا هو السبب فى أنهـا تنتف دائما ريش زوجها أولا بأول حتى لا يطيـر من عش الزوجية • ومع ذلك لم يفكر احـد منكم أن هذا يؤثـر فى اقتصادكم القومى ، على كل حال ، واضح من الادب المصرى القـديم ان المصرى كان رومانتيكيا وواقعيا وكلاسيكيا ورمزيا معـا فى فكرته عن المراة وفى معاملته لهـا • اما اللامعقول فـلم يظهر عنـدكم الا فى الالف سنة التى حكمها الترك والمماليك ، خـذوا مثلا بتاح حتب ، حكيم الدولة القديمة (٢٥٠٠ ق•م) وهو يحض ابنـه على الزواج ويسلمه مفتاح الســـــعادة الزوجيـــة •

« أحب زوجتك فى البيت كما يليق بهـا وأملا بطنها واكس ظهرها » •

« وأعـلم أن الدهون العطرة عـلاج لاعضائها •

« أسعـد قلبها مادامت حيـة •

« لانهـا حقـل طيب لاولادها ...

« وان عارضتها كان فى ذلك خرابك ...

أمـا وصايا الحكماء فى احترام المراة كأم فنجـدها فى بردية بولاق حيث يوصى الحكيم الابن باحترام أمـه للاسباب البيولوجية المعروفة ثم يضـيف :

« ولمـا دخلت المـدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقـف فى كل يوم الى جانب معلمك ومعها الخبز والبيرة جـاءت بهمـا من البيت » .

والاغلب ان الخبز والبيرة عنـا للمعلم لا التلميذ . على كل حـال الوصف رومانتيكى ويجعل الانسان يتمنى لـو كان معلما فى مصر القديمة يشرب البيرة بين الحصص . فاذا كانت ام تاتى للمعلم يوميا برغيف وزجاجة استيلا كان هـذا اجـدى على المعلمين من مرتبات وزارة التربية والتعليم ، الا توافقوننى على ان هـذا كان عصرا ذهبيـا للنساء والمعلمين ؟

الماركسية المسخسخة : كيف تقـول انـه كان عصرا ذهبيا للنساء وانت تعلم ان القانون المصرى القديم كان يبيح امتلاك الامـاء .

سمبوليون : وامتلاك العبيد ايضا . امتـلاك البشر للبشر مسالة اخـرى . والحقيقة ان الحـالة تحسنت بعـد سنة ٢٠٠٠ ق.م. تقريبا بتعديل قوانين الاحوال الشخصية فى مصر القديمة . فقبل هـذا التاريخ كان « الزواج » مجرد

الزواج بالمعنى القانونى اى الزواج بعقد ، امتيازا تتمتع به الطبقات الممتازة وحدها ، أما ابناء الشعب فكانوا يتزوجون بلا عقود • فثارت ثورة شعبية كبرى نحو ٢٠٠٠ ق•م• وكان المتظاهرون من العمال والفلاحين والحرافيش يرفعون اللافتات ويهتفون : « القطط والقرود تتزوج بلا عقود ! » « تحيا عقود الزواج ! » « نريد عقود زواج ! » واذعنت الطبقة الحاكمة فأعطت لابناء الشعب حق الزواج بعقود • ويقول بعض المؤرخين ان البروليتاريا المصرية لم تنتفع كثيرا من هذه العقود لان العقود تنظم الملكية والبروليتاريا بلا ملكية • ولكن ثابت من الوثائق ان هذه الثورة أعطت الفقراء الحق فى ان تكون لهم « مقابر أسرة » ، تقيمفيها الاسرة شعائر الموتى ، وبهذا وحده امكن الموتى الفقراء دخول العالم الآخر بحسب معتقدات قدماء المصريين ، كانت البروليتاريا المصرية محرومة من خلود الروح قبل هذه الثورة • وبذلك تكون هذه الثورة ثورة ديمقراطية عظمى ، لانها انقذت البروليتاريا المصرية من مصير القطط والكلاب عند الموت وسوت بين جميع المواطنين فى حق الخلود ، وهذا ما نسميه منذ ظهور اديان التوحيد المساواة امام الله ، تصوروا : حتى هذا كان بحاجة الى ثورة واعلان حقوق الانسان ، وبديهى انه من ليس له أسرة فلا يمكن ان تكون له قبور اسرة ، وبالتالى لا يمكن

الصلاة عليه وتقديم الرحمة أو القرابين على روحه ، فمصيره اذن مصير القطط والكلاب • وعندكم حتى الآن ان كل من يخرج من مشرحة القصر العينى ولا تظهر له اسرة يكون مصيره مصير القطط والكلاب ، رغم ان عندكم جمعيات للرفق بالحيوان وجمعيات خيرية للرفق بالبشر • وهذا هو سبب ارتعاد الفقراء عندكم من الموت فى القصر العينى •

أظن أن صديقى مالينوفسكى شرح لكم سبب استماتة فقرائكم فى زيارة المقابر رغم انكم لا تكفون عن ترديد انها مكروهة فى الاسلام وغير منصوص عليها فى المسيحية ، انهم فى سنة ٢٠٠٠ ميلادية يحافظون على مكاسب ثورة ٢٠٠٠ ق•م• فاذا كانوا لا يصيبون المساواة على الارض فلا أقل من أن يصيبوها فى السماء • طبعا هذه بقايا وثنية بينكم ،ولكنكم لستم وحدكم فى هذا ، فالعالم المسيحى ايضا يرتعد مثلكم من مصير القطط والكلاب ، هل رايتم الآن فائدة نظام الاسرة ؟

والمراة المصريه طبعا لم تحصل على حقوقها السياسية الا بعد ان حصلت على حقوقها المدنية ، ولم تحصل على حقوقها المدنية الا بعد أن حصلت على حقوقها الشخصية ، مثلا كانت البنت ترث بالضبط مثل نصيب الولد وكانت المراة تتصرف فى املاكها بالضبط كما يتصرف الرجل • عندكم مثلا وثيقة من الاسرة الثالثة

توصى فيهـا سيدة اسمها نبس ـ سمحت بأطيانها لأبنائها وفى قانون العقوبات وقوانين الاحوال الشخصية كانت المراة مساوية للرجل تماما • كانت عقوبة الخيانة الزوجية هى الاعـدام لاى طـرف من الاطراف : الـزوج أو الزوجـة أو العشيق أو العشيقة • عقوبة قاسية طبعا ، ولكنهـا تقوم على المساواة على الاقـل ، وفى هـذا بعض العزاء للجنس اللطيف ويبـدو ان المصريين كانوا ينظرون للخيـانه الزوجية نظرتنا الآن للخيانة الوطنية ويعتبرونها ام الكبائر ، مثلا فى بردية آنى ، حـكيم الدولة الحديثـة ، يقول آنى عن الزنـا : « ان ذلك لجرم عظيم يستحق الاعـدام عندما يرتكبه الانسان ثـم يعلم بذلك الملا (يعنى تعم الفضيحة) ، لان الانسـان يسهل عليه بعـد ارتكاب تلك الخطيئة ان يرتكب أى ذنب » وانى الحكيم فى مكان آخـر من البردية ، يحـذر الرجـل من شباك المراة المحرومة : « ان المراة البعيـدة عن زوجها تقول لك كل يـوم : انى جميلة ! عندمـا لا يكون لديها شـهود (يعنى عنـدما تنفرد بـك تبـدى محاسنهـا وتغمـز فى اغراء) ، وهى تقف وتلقى الشباك ••• ما أشـدها خطيئـة تستحق المـوت اذا استمع اليها الانسان • » وآنى فى الحالين يخاطب الـذكور لا الاناث ، فكان سقوط الرجل مـع امراة متزوجـة كانت عقوبته اعـدام الرجل • وآنى فى الحقيقـة يخاطب العزاب ، لان برديته موجهـة الى شاب اعزب يحضه

فيهـا على الزواج ويشرح قوانين الحياة الزوجيـة ، فكانت عقوبة الاعزب على الزنـا مع محصنة هى الاعـدام ، فما بالك بعقوبة الرجل المتزوج ! لابـد انهم كانوا يعلقونه من أذنيه وعلى العموم نص القانون فى مصر القديمة على ان الزوجـة الزانية تفقـد حقها فى مؤخر الصـداق حين تطـلق ، وهـذا يـدل على ان توقيع عقوبة الاعـدام كان لا يمارس الا بشروط معينـة كالتلبس واصرار المجنى عليه وربما شروط اخرى .

وكان الاعـدام المفضل عنـد المصريين القـدماء هـو بالالقـاء الى التماسيح وليس بالقـاء الطوب ، وآذا اردتـم احيـاء هـذه العقوبة الذهبية فيمكنكم ، نظرا لعـدم وجود تماسيح فى النيل ، أن تستعيضوا عن ذلك بالقـاء الزنـاة للاسود فى السيرك القومى الـذى تنشئه الآن وزارة الثقافة واذا اردتم طريقه افعـل فى النهش والتمزيق فاحكموا عـلى الزناة بالاقامة ٢٤ ساعة متواصلة فى مسرح الحكيم أو فى كاتتيريا سميراميس أو فى قهـوة ريش بين الادبـاء والفنانين والصحفيين وستكون النتيجـة محققة : لن يميز احـد لحمه من عظمـه .

انـا شخصيا لا احب التماسيح ، وافضل بكثير العقوبة البابلية فى اعـدام الزنـاة ، فهى طريقة رومانتيكية جـدا ، وياحبـذا لو اخـذ بهـا المشرع الحديث لانهـا ستجعـل موضوع الخيانةالزوجية الموضوع المفضل عنـد الفنانـين

التشكيليين وترفع مستوى الروايات التي تكتب حول هذا الموضوع ، فى قوانين حمورابى (نحو ٢٠٠٠ ق٠م) ، فى حالة التلبس ، التلبس فقط ، كانت العقوبة هى الاعدام غرقا ، كان يلقى بالمرأة وعشيقها معا مقيدين فى دجلة أو الفرات ، ليعبرا النهر • فاذا نجوا كان معنى هذا ان الاله حكم بالبراءة • واذا غرقا نزل بهما العقاب المنصوص عليه فى القانون • ولم تكن هناك الا ثغرات قليلة فى هذا القانون ! مثلا الابرياء الذين لا يجيدون السباحة • وهو لم يحسب أيضا حساب نجاة المرأة مثلا وغرق الرجل او العكس ، ربما كان المفهوم ضمنا هو ادانه الغريق بالزنا مع مجهول ، يعرفه الاله ولا يعرفه الناس . وفى هذه الحالة تستريح ضمائر البشر والآلهة ، ويعود كل الى المدينة ليبحث عن خيانة زوجية جديدة • فلا شك ان هذه كانت تسلية يومية جميله ، وهى أرقى بكثير من مباريات كرة القدم ، وهى لعبة جاءكم بها الاستعمار البريطانى ، على الاقل هذه تسلية عربية ، وطبعا فى بابل القديمة كان ينبغى على كل دون جوان وكل خائنة ، اذا ارادا ان يفلتا من الموت ، ان يكونا من ابطال السباحة ، ولا سيما سباحة المسافات الطويلة • ابو هيف مثلا وحنفى محمود ونبيل الشاذلى كانوا يستطيعون ان يفعلوا مابدا لهم فى نينوى أو حتى فى منفيس ثم يخرجوا السنتهم للقاضى

وللعسس . فمن عبر المانش او اونتاريو او لوجانو سينظر دائما فى ازدراء الى المسافة من ميت رهينة الى البدرشين . المؤكد ان احياء هذا القانون سيشجع الرياضة بينكم ، فاذا لم يقض على الخيانة الزوجية عندكم فهو لا شك سيجعل منكم ابطال العالم فى سباحة المسافات .

آلهم انه حتى فى بابل تساوت العقوبة على الزنا ، ولكن للاسف بعد نحو ١٢٠٠ سنة من حمورابى ضاعت الرومانتيكية من بين النهرين أو « نهرينا » كما كانوا يسمونها ، ففى الدولة الاشورية صاروا فى العراق وسوريا يجدعون انف الزوجة الزانية ويخصون عشيقها ويقطعون آذان الوسطاء فى الخيانات الزوجية . وحيث يرى الدم يطير الخيال .

اما الزوج الخائن فى بابل القديمة فلم يكن نصيبه الاعدام . ومن هذا ترون أن مصر القديمة كانت اقرب لفكرة المساواة من بابل القديمة . غير ان قوانين بابل القديمة كانت اكثر عصرية . فعقوبة الزوج الخائن فيها كانت مدنية لا جنائية . كان عليه ان يدفع لزوجته تعويضا ماليا عن خيانته اذا ارادت ، وهى طريقة عصرية لطيفة يمارسها كثير من الازواج فى اوروبا دون حاجة الى قوانين تنظمها ، واعتقد انها تمارس ايضا فى مصر الحديثة . فالزوج الاوروبى كلما اراد أن يخون زوجته غمرها

بالهـدايا : بالمجوهرات ، بالملابس ، بالسيارات ، بالفسح وكلما زادت الهدايا بعد الزواج كان ذلك علامة سيئة · على كل حال هذا هو المقابل العصرى للتعويض البابلى · أما فى مصر القديمة فالذى كان يأخذ التعويض هو التمساح ·· لا الزوجة ·

وحتى فى بابل كانت المرأة شريكة للزوج لا أمة له · وقد بلغ من اهتمام حمورابى بحماية الاسرة ان قوانينه فيها ٦٤ مادة لتنظيم الاسرة من ٢٥٢ مادة ، أى ربع قوانين الدولة · طبعا الدولة ايامها لم تكن معقدة كما هى اليوم ··· على كل حال حمورابى اعتبر اساس الاسرة هو « الزواج الاول » ، اى ان كل ما بعده فشوش · طبعا التسرى كان جائزا ، ولكن الزوج كان من حقه ان «يتزوج» شرعا للمرة الثانية مع الاحتفاظ بزوجته الاولى فى حالة واحدة فقط ، وهى عقم الزوجة ، وحتى فى هذه الحالة اشترط حمورابى ان تغسل الزوجة الثانية قدمى الزوجة الاولى رمزا لانها زوجة سكوندو ، وكان لا يجوز لرجل ان يحتفظ بزوجتين فى وقت واحد الا بموافقة المحكمة ·

أما الطلاق لسوء السلوك فكان ممكنا للزوج والزوجة على قدم المساواة على طريقتكم الشفوية اذا لم يكن هناك التزامات مالية ، أما اذا أرادت الزوجة ان تسترد مهرها ، فهى التى كانت تقدم المهر ، وان يسمح لها بالزواج

مرة ثانية . فكان يتحتم عليها الحصول على موافقة المحكمة فاذا رمى الزوج على زوجته يمين الطلاق كان مهرها من حقها وتحتم عليه الانفاق على الاطفال • قوانين عصرية اخذنا بها نحن فى بلادنا بعد ٤٠٠٠ سنة ، باستثناء حكاية الطلاق الشفوى هذه • فنحن نفضل التهاتر فى المحاكم لانه مسل للجيران والمعارف وقراء الصحف ، ونقدم مسرحياتنا الزوجية بالمجان للمتفرجين • على كل حال هذا عندنا افضل من ان يؤلف كل متفرج مسرحية عنا وينسبها لنا ، وهى غالبا ما تكون مسرحيات رديئة • ثم اننا وجدنا ان العروض الخاصة أمام الحموات والاخوال والاعمام فقط تخلط الشخصيات فتجعل من البطل وغدا ومن الوغد بطلا ، وكثيرا ما تحول التراجيديا الى كوميديا والكوميديا الى تراجيديا ••• واكثر من هذا فهى تضيع الحقوق •

والحقيقة انه لم يستوقفنى قانون من قوانين حمورابى مثل القانون الذى يبيح للزوج رهن زوجته واولاده لمدة اقصاها ثلاث سنوات بموافقة المحكمة لضمان الدين • هذا كان حقا قمة العصر الذهبى • ولكن للاسف بعد ألف وخمسمائة سنة من حمورابى فسدت أخلاق البابليين فأطالوا مدة الرهن وتحول رهن الزوجات والاولاد الى نوع متخصص من تجارة الرقيق الابيض والاسمر • ولولا حماقة

هؤلاء الاسلاف لامكننى ان اقترض على مدام شمبوليون مبلغا كبيرا من بنك الكريدى ليونيه واقوم برحلة بحرية جميلة حول العالم قبل ان تدركنى الوفاة ٠

والآن يا سيدى الرئيس ، والآن يا أصدقائى الاعزاء ، استودعكم الله لا عود الى قبرى واكفانى الذهبية واستأنف احلامى الذهبية عن بلادكم الذهبية التى قضيت كل عمرى ابحث فى أحوالها الذهبية وتاريخها الذهبى وافك فى نقوشها الذهبية : لا تقولوا وداعا ، بل قولوا الى اللقاء ٠

وهكذا تركنا الخواجة شمبوليون فجأة بهذه النغمة الحزينة ، وشيعه صانع الاقنعة بنظرة ساهمة ثم نهض وانصرف ، وقد نسى حتى ان يقول : « رفعت الجلسة » ٠٠ فعرفنا ان الجلسة لا تزال مستمرة عن الحضارات القديمة ٠

× المحاورة السادسة ×

افروديت الذهبيـــة

قال صانع الاقنعة لحاجب الجلسة ، وكان يـدلله باسم الشمعدان المنطفىء لكثرة مـا احرق من شموع فى حياته :

ـ انظر يا شمعدان من ذا الـذى يطرق الباب ٠

قال الشمعدان المنطفىء فى ادب جم :

ـ انه يا سيدى ، الخواجة روسوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : سله لمـاذا جـاء ٠

الشمعدان المنطفىء : انـه يقول انـه سمع اسمه يتردد كثيرا فى الجلسة المـاضية فحسب انكم بحاجة اليـه ٠

صانع الاقنعة : ولكننـا لم نـدعه ٠ اطلب منـه ان ينصرف ٠

الشمعدان المنطفىء : انـه يصر على الدخول يا سيدى ، ويقول اننـا شتمناه ومن حقـه ان يـدافع عن نفسه . ثـم انـه يقول انـه لم يحاضر ابـدا فى العـلم منـذ أن مات فى

١٩٥٠ أو ١٩٥١ ..فاذا رفضتم ادخاله فهو يطالبكم بتعويض لانـــه كأى استاذ جامعى عنـــده شهوة الكلام وانتم حرمتموه منها • وهو قـــد تخلى ٠ن تابوته من اجلكم وضيع اكفانه فى الطريق الينا •

صانع الاقنعة : انـــا لا ارى خطرا من دعـــوة الخبـــراء الاجانب الاموات ، روستوفتسيف بشهادة الجميع أكبر حجة فى العـــالم القديم ، هل توافقون على دخوله ؟

اصـــوات : لا مانع • لا مانع •

صانع الاقنعة : تفضل يا خواجه رستوف ... مـــــع السلامة يا مسيو شمبوليون • سلم على بونابرت •

روستوفتسيف : فى خـــــــدمتكم • أى شىء عن مصر القـــديمة • بابل ، أشور • اليونان ٠الرومان •

صانع الاقنعة : لا • مصر القديمة فرغنا منهـــا • تكلم عن اليونـــان والرومـــان •

روستوفتسيف : سيداتى ، سادتى •

على‌الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : قبل ان نبـــدا الخواجة عنـــدى نقطة نظـــام •

صانع الاقنعة : ماذا تريد ؟

على‌الزيبق الجوكى : منـــذ ان نشرت محاضر جلساتنا السابقة وكل الناس تعتقد انى الايديولوجى الفهلوى ، بينما اسمى عندكم هـــو على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك •

وهـــذا يسبب لى مضايقات شـــديدة فى كل مكان • أنـــا اطلب نشر تصحيح فى الاهرام • أو تغيير هـــذا القناع الردىء الـــذى صنعه لى المعلم العاشر •

صانع الاقنعة : ما قولك يا معـــلم يا عاشر •

المعلم العاشر : الناس على حق فى هـــذا الالتبـــاس لان صـــفة الايديولوجية الفهلوية أوضح فيه منها فى زميله ، ولكن هذا لمجـــرد أنه أكثر منه جلبة لا لانه أكثـــر فهلوية • هـــو مثلا يستطيع تنظير اى رغبـــة أو مصلحة أو ســـــباسة أو موقف أو عمل أو فشل أو نجاح ويربطه بحتمية الحـــــل الاشتراكى وبقوانين الجـــدلية المجيدة الملتحمة مع الواقـــــع الجزئى المترابط مع الواقع الكلى فى اطـــار من الوعى التاريخى الصاعد ، وكذلك بالتطبيقات المرحلية الفهلوية للاشتراكيـــة العربية المجيدة •

على الزيبق الجوكى : انـــا احتج • هـــذه لغـــة ابن سير كوف لا لغتى •

المعلم العاشر : لا • انت مخطىء • لغـــة ابن سيركوف هـــى : الاستغلاق الاستيطانى الحاصل من تداخـــل الـــذات والموضوع فى مقولات هوسرل وبراديبق الانحرافية اللامتفائلة بمصير الجنس البشرى • هـــل تريد المزيـــد ؟

صانع الاقنعة : كفى • ولـــماذا سميته اذن بعلى الزيبق الجوكى ؟

المعلم العاشر : لانـه الوحيـد بين كتاب مصر الـذى يعرف جوادا أصيلا اذا راى جوادا أصيلا ثم يحـاول ركوبه لا مجرد التمتع بالنظر اليـه ، وهو الوحيد الـذى درب نفسه بنفسه على لعبـة السرك التى يركب فيها الجوكى على اربعة جياد فى وقت واحـد ويضرب بالانس على ظهورها الاربعه • وهو يفعل مثل هـذا فى السباق ، والجميل فى الموضوع ان كل جواد منها يعرف ان على الزيبق جوكى للجياد الاخرى أيضـا ، فيفكر لحظـة فى أن يطرحه أرضا ويعضه ويرفسه ، ولكنـه لا يلبث ان يغمره السرور لهـذه اللعبـة اللطيفـة فيحمله مبتهجـا ويلعقه • لهـذا سميته بالجوكى • أمـا الايديولوجية الفهلوية فصفة يشاركه فيها الكثيرون •

صانع الاقنعة : ولـماذا على الزيبق ؟

المعلم العاشر : لان على الزيبق هـو زعيم جماعـة الشطار الظرفاء فى تاريخ الادب العربى ، وعلى الزيبق الجوكى باتفاق الكل سمباتيك الى أقصى حـد • وهو مثل سميه على الزيبق يعرف كيف يخرج من كل مأزق ، انـا شخصـيا استلطفه • ولو كنت جوادا لاعطيته ظهرى ليعتليه • لكنـه للاسف لا يرى فى الا حمارا كبيرا ، ويستشهد على ذلـك بعنـادى الشديد ويقول : يـا عبيط انت تتصـور الكون بالمطلقات على طريقة نيوتن • كل شىء عنـدك يسير بالقصور الذاتى ، بينما الحقيقة أن كل شىء يسير بالنقائض والاضداد والمراحل الجدلية • فاذا افترضنا ان الحياة سباق • والحياة

سباق فعلا ، فالسباق مراحل ، والمهم فى الحيـــاة ان تكون جوادا كريما • فاذا لم تستطع ان تكون جوادا فكن جوكيـا على اقـل تقدير • والمهم فى الحياة ان يتفاعل كل جوكى مع جواده حتى يقطع بـه المرحلة • والتفاعل سهل • اســـهل مـا يكون • اعط الجواد قطعة من السكر يتفاعل معك ويقهقه ضاحكا ويجرى بك الى آخر الشوط ، او الى آخر المرحلة • المهـم ان يجرى بك ولو مرحلة واحـدة • فكل مرحلة تقطع توضح الرؤية لانهـا تقربك من الهـدف • امـــا انت فلن تـدخل سباقا ابـدا لانك تصر على البرسيم ، والبرســـيم يجعل اذنيك مويلتين ، ولطول اذنيك لا يرى الناس انـــك جواد مع انك بالفعل جواد ، واعتقـد ان كثرة اكل البرسيم قـد احـدثت فيك تغييرا عضويا فجعلتك لا تصلح لشىء الا حمل الاثقال : مرحلة متوسطة بين البغل والحمار • جـرب السكر بـدلا من البرسيم وترقب النتيجة • وكنت دائمـــا اجيبه : خل نصائحك لنفسك ، فأنت اخيب جوكى فى الوجود برغم كل مـا تعطيه من السكر لكل الجياد • امـا حكـــاية الزنبرك فهى مجرد تكرار لنفس المعنى الموجود فى على الزيبق : تعنى الروغان وصعوبة الاحتواء • واحـدة منهما تكفى • اذا كان قنـاعى لا يعجبه فاصنع لـه قنـاعا •

السندباد الجديد : انتم تضيعون الوقت فى المهاترات • نحن جئنـا لنناقش الرجعية والتقدمية • ارجئوا حكـــاية الاقنعة وتكلموا فيما يفيد •

روستوفتسيفه : هل ابـدأ يـا سيدى الرئيس ؟

صانع الاقنعة : ابـدأ • ولكن اياك ان تحـــرج عن الموضوع ، الموضوع باختصار هـو : كيف كانت المراة فى عصرها الذهبى أيام اليونان والرومان •

روستوفتسيف : هل اتكلم بصراحة ؟

صانع الاقنعة : هل انت خائف من شيء ؟

روستوفتسيف : نعم • مسز روستوفتسيف لا تـزال على قيـد الحياة • ســـتنقطع عن زيـارة قبرى اذا تكلمت بصراحـة •

صانع الاقنعة : هـذا سبب ادعى للصراحة ، لانهـا لـو كانت معك لجعلت حياتك ••• اقصد موتك • جحيما •

روستوفتسيف : هـذا كان عصر طين وقطران وليس عصرا ذهبيا • من ناحية الاخلاق ؟ عكس ما يتصور تمامـــا المسيو صباخ • تصوروا ان اكثر ملوك اليونان العظماء كانوا بقرون • الملك منيلاوس مثـلا استضاف الامير الجميـل باريس ابن ملك طروادة فهرب بزوجته هيلانة • لكن هنـاك شيئا يحيرنا نحن المؤرخين : وهو كيف يقيم اليونان حـرب طروادة المهـولة لمـدة عشر سنين ليثأروا لشرف منيـلاوس ويمـوت كل هؤلاء الابطـال ، ثم يعـود منيلاوس بهيـلانة ويجلس معها على عرش اسبرطه ويعيش معهـا فى تبات ونبات وكأن شيئا لم يحـدث • طبعـا هى بكت لـــه وقالت : لا تؤاخذنى انهـا الربة افروديت ضحكت على أو على الاصـح ـ بلغتهم ـ رمت على شباكا من حـــديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء باريس كالنائم نوما مغناطيسيا

ثم اخوه الملك الغازى اجا ممنون • عاد الى وطنه بعد عشر سنوات من الجهاد ليجد زوجته فى احضان ايجست • وقبل أن يفتح فمه ذبحته كالثور فى حمام القصر الملكى بالضبط كما فعلت ملكتكم شجرة الدر بزوجها الثانى عز الدين أيبك •• والملك ثسيوس أبو الاثينيين كلهم ماتت زوجته وتزوج من فيدرا فأخذت تطارد ابنه هيبوليت حتى دفعته الى الانتحار ثم انتحرت ، وكانت دائما تردد : انها افروديت • انها الربة افروديت ••• القت على شباكا من حديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء هيبوليت كالنائم نوما مغناطيسيا ••• وغيرهن • وغيرهن • كل النساء الزانيات فى اليونان القديمة كن يمسحن خيانتهن فى ربة الحب افروديت • تماما كما نقول نحن : الشيطان وزنى •• الوحيد الذى نجا من هذا المصير هو أوليس زوج بنيلوب • حتى البطل هكتور • لو أن زوجته اندروماك كان عندها ذرة من الفضيلة والشجاعة لانتحرت قبل ان تسبى مع ولدها بعد موته وتنام تحت سقف قاتل زوجها •

أبو الفتوح الصباح : الم نقل لكم ان كل الفسوق جاءنا من الغرب ؟

اغا طبوزادة : بالغزو الفكرى • من ايام العصر الحجرى الحديث ••• الى اليونان ••• الى الرومان ••• الى الحروب الصليبية ••• الى الفرنسيين ••• لغايه الفرنسيين • أما الانجليز والامريكان والالمان ، كل الانجلو سكسون فنحن

غزوناهم فكريا وهم لهذا ارقى شعوب الغرب بسبب تحالفهم مع الاتراك ٠

ابو الفتوح الصباح : بالضبط ٠ كل الفساد جاءنا من أوروبا ٠ بتحرير المراة ٠

روستوفتسيف : المسيو ابو الفتوح الصباخ يقول أن كل الفساد جاءكم من أوروبا ٠ انا لا اعرف شيئا عن أوروبا بعد سقوط روما فى ٤٧٦ ميلادية ٠ ولكن المشكلة التى يبحثها علماء أوروبا الآن هى : هل انطونيوس هو الذى اغوى كليوباترا أو كليوباترا هى التى اغوت انطونيوس

ابو الفتوح الصباح : ماذا يهم ؟ الاثنان خواجات ٠

روستوفتسيف : لا يا مسيو صباخ ٠٠٠ كليوباترا عندكم جريجية أما عندنا فهى طبعا مصريه ، هى وعائلتها اليس عندكم مثل يقول : من عاشر القوم اربعين يوم ؟ البطالسة عاشروكم ٣٠٠ سنة وصاروا منكم ٠٠٠ مثلا بطليموس الثانى المعروف بفيلادلفوس (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق٠م) اراد ان يثبت لكم انه مثل الفراعنة تماما فتزوج اخته ارسينوى ٠٠٠ حتى كليوبترا تزوجت عن اخيها بطليموس ١٣ وكان عمره ٨ سنين ٠٠٠ عندنا ٣٠٠ سنة حاجة عظيمة . تكفى لظهور واختفاء عشر امبراطوريات ، اما عندكم فحساب الزمن بالقرون لا بالسنين ٠٠٠يوم الحكومة بسنة لكن سنة الشعب بيوم ٠٠٠ انا شخصيا افضل طريقتكم لانى مؤرخ ، والتاريخ يقوى الذاكرة ٠٠٠ كاهن انوبيس مثلا يعرف كل اسماء الشوارع فى منفيس وطيبة ويسكن فى مصر

الجديدة لمجرد أن شوارعها اسمها طوتموزيس وسيزوستريس وأمازيس ، وماعليه الا ان يغمض عينه ساعة كل يوم ليتخيل ان الشقة المجاورة له تسكنها نفتيس بنت رادوبيس وزوجة ردامانتيس ... والسيو أبو الفتوح الصباغ يسكن بجوار جنينة الحيوانات لان الشوارع هناك اسمها : ابن رضوان الطبيب ، عقبة بن نافع ، قرة بن شريك ، ابن بختيشوع الطبيب ... ويتوهم انه يعيش فعلا فى الفسطاط ، ولولا هذا لما وجد الشجاعة ليواجه القرن العشرين .

صانع الاقنعة : ما علاقة هذا الكلام بالمرأة الجريجية؟

روستوفتسيف : اقصد ان تحرير المرأة كان عندكم لا عند اليونان ... اليونان اهتموا بشىء واحد وهو تحرير الرجل ... أما المرأة اليونانية ، من الملكة الى بائعة الجندوفلى فى ميناء بيريه فكانت حالتها اسوأ مما يكون ... تصوروا مثلا ان سيدة عظيمة مثل بنيلوب زوجة البطل أوديسيوس ملك ايثاكا يقول لها ابنها تليماك وهو لا يزال دون سن البلوغ : « هيا اذهبى الى حجرتك واشتغلى بأعمالك : اشتغلى بالنول والمغزل ، وامرى وصيفاتك ان يلتفتن لعملهن ، فالكلام من شأن الرجال ، كل الرجال ، ولكنه من شأنى أنا قبل الجميع : فالامر أمرى فى هذه الدار » ... هكذا قال هوميروس نحو ١٠٠٠ ق.م . (« الاوديسا » ١/٣٥٦ ـ ٣٦٠) ... وبدلا من أن تصفع بنيلوب ولدها تليماك أو تقول : اخرس ياولد ، نراها بالفعل تكف عن الكلام وتلتفت للنول والمغزل . والنول

والمغزل ايام زمان كانا كشغل البرودرى والاوبيسون فى القرن التاسع عشر وكلعبة البريدج والهويست والكاناستا فى القرن العشرين ... اظن ان هواية نسائكم المفضلة هى المشكحة فى شارع قصر النيل وسليمان باشا قبل الظهر وبعد المغرب .. على العموم كان مكان المراة فى اليونان القديمة هو البيت ، وكان لا يسمح لها أن تختلط بالرجال الا فى اسبرطة ... أما الشبان والبنات فكانوا لا يرى بعضهم البعض الآخر الا فى الاعياد والجنازات والمواكب بوجه عام ، ودائما وسط جماعات وليس على انفراد ... وفى شعر ثيوقريط (ايديل ٢) وصف لكيفية وقوع البنت فى غرام دافنيس من بعيد لبعيد فى موكب عيد ارتميس ... وفى أوربيديس ان عدم ملازمة المراة بيتها يعرضها للقيل والقال (« نساء طروادة » ٦٤٢) والمشرع ليكورجوس قال (فى ليوقراط ٤٠) ان نساء اثينا كن لا يجترئن ، عى فتح ابواب بيوتهن وقد كان حدثا رواه المشرع ان نساء اثينا اجترأن عى فتح أبوابهن بعد هزيمة خيرونا وعودة الجيش المسحوق ليسألن عن الزوج والاب والشقيق . هل مات أو عاد سالما ، وقد استهجن فوكورجوس هذه الفعلة الشنيعة لانه « ظن انها لا تليق بهن ولا بمدينتهن » ... والمبدأ العام فى اليونان القديمة كان ان المراة لا تخرج من بيتها حتى تبلغ السن التى تجعل من يراها يسأل : ام من هذه ؟ لا زوجة من هذه ؟ ولا تخرج الا بصحبة مرافق أو شابيرون ذكر من اهل بيتها يكون موضع ثقة ، وكانت فى العادة تتبعها جاريتها ...

طبعـا جاريتها هـذه كانت اس البلاء لان الادب اليـونانى القـديم يصور الجارية دائما على انهـا الرسول بين العشيق والعشيقة ... نعلم هـذا من ستوبايوس (هيبرود) ... وفى قوانين صولون فى القرن ٦ ق.م . قانون ينص على ان المـرأة حين تخرج للجنازات أو لاحتفالات الاعياد « يجوز لها ان تأخـذ معها ما لا يتجاوز ثلاث قطع من الثياب وما لا تزيد قيمته عن أوبول واحـد من الطعام والشراب » (والاوبول كان يساوى بنسـا ونصف البنس اى اقـل من قرش صاغ بالسعر الرسمى ولكن ربما كانت قيمته ريالا بالقـــوة الشرائيه للحقيقة) ... كذلك نص القانون على ان المرأة لا يجوز لهـا ان تخرج ليـلا الا فى عربة يضبئها مصباح ... وقد ظلت هذه اللوائح معمولا بهـا الى زمن بلوتارك فى القرن الاول فاذا أراد قومنذان بوليس الآداب عندكم ان يأخـذ بمبـدأ الوقاية خير من العلاج فانى انصحه بقـراءة قوانين صولون وليكورجوس واستصدار قانون يحتم اضاءة كشافات داخل كل سيارة تمر ليـلا فى شارع الهرم او فى طريق العادى .. كل هذا يـدل على وجود أزمـة ثقـة شديدة بين رجـال اليونـان القديمة ونسائها ... وغير معروف اذا كانت القطع الثلاث الواردة فى قوانين صولون معنـاها ثلاثه غيارات أم مجرد ثلاث قطع من الثياب مثل الكومبينيزون والفسـتان والشال أوالمـلاءة اللف ، وهـذا التفسير الاخير هـو الارجح لان تحـديد المـأكولات والمشروبات بما لا يتجاوز ريـــالا يتضمن ان نساء اليونان كان غير مسموح لهن بحمل الفلوس

فى شـنط اليـد أو فى غير شنط اليـد ، والا فالتشريع يكـون عبثـا لان الفلوس يمكن أن تشترى تموين شهر أو سنة ... ويبـدو ان الفكرة العامة كانت ارغـام النساء تحت وطـأة الجوع ان يعـدن للنـوم فى بيوتهن بـدلا من النوم فى القرافة أو فى الحدائق العامة .

أبو الفتوح الصباح (يتحمس) : ايهـا الرجعيون ! اهتفوا معى : تحيـا ذكرى صولون !

اغـا علبوزادة والخشداش ابواظ : تحيـــا ذكـرى صولون !

مجاهـد بن الشماخ (فى امتعاض) : مـــا هـــذه السـذاجة ؟ هـذه مؤامرة صليبية ... تذكروا الـــروم ! تـذكروا بيزنطة ! هؤلاء هم أعداؤنا التقليـديون . قولوا معى : فليسقط صولون وأهل صولون .

صانع الاقنعة : النظام ... النظام .

روستوفتسيف : ماذا فعلت ؟ هـل اخطأت ؟ أنـا أرد على سؤالكم : هل كانت المرأة اليونانية متحررة أم لا .

صانع الاقنعة : مجاهـد بن الشماخ غاضب لانـــك صورت المرأة اليونانية فى صورة جميله : خاضعة تمـــاما لسلطان الرجل .

روستوفتسيف : نعم ... هى كانت كذلك وكانـــت النسـاء تأكل على مائـدة مستقلة بعيـدا عن الرجـــال فى الحفلات والمـآدب ... اعتقـد ان هـذا التقليـد لا يـــزال موجودا بينكم فى الريف المصرى ... وقـد بلغنى ان كل غلام

من الفلاحين عندكم ينهـر امـه ويقول لها اف كما كان نليماك ينهـر بنيلوب ... ومع ذلك اذا اردتـم ان اقـلب لكـم الحقائق ، فهـذا سهل ... نحن العلماء الخواجات مدربـون على ذلك ... مثلا عندما تكون هنـاك ازمة سياسية بيننا وبين المصريين نصـدر « ابحاثا » علمية نثبت فيهـا ان اصل الحضارة كان فى سومر وليس فى مصر ... واذا اختلفنا مع العراق اثبتنـا انـه كان فى مصر وليس فى سومر ، واذا اختلفنـا مع كل العرب نقلنـا اصل الحضارة الى الصين او الهنـد بحسب الحالة .

صانع الاقنعـة : لا ... لا ... نحن نريـد ان نستنير . استمر يـا خواجه .

روستوفتسيف : على كل حال : استعباد المـراة فى اليـونان القديمه يثبت وجهـة نظركم .. بثبت ان المـراة الاوروبية منـذ فجر التاريخ كانت منحرفة ويجب ان تعامل بالعصـا ... مثلا أوربيديس فى مسرحية « اندروماك » البيت ٩٢٥ ينصح الرجال العقلاء ان يمنعوا نسـاءهم عن استقبال النسـاء الاخريات لانهن « معلمات لكل الشرور »..

ومن كوميديـا ارسطـوفانيس « أعيـاد ثيسمافـوريا » (البيت ٤١٤) نعرف ان رجال اليونان كانوا يسـجنون نساءهم فى حرملك يسمونه بلغتهم « جونايكونيتيس » ، اى « حجرة النساء » ويغلقون الحرملكبترباس محـكم من الخارج ، ولا يكتفون بهـذا بـل يضعون كلب حراسة مولوسى على عتبـة الدار ... لماذا كانوا لا يأتمنون نساءهم ؟ لانهن

كن نساء ملعبات ... ناقصات عقل ودين ... بالضبط كما تقولون أنتم عن نسائكم اذا أردتم اعتقالهن أو تحديد اقامتهن ... ومنذ ٨٠٠ ق٠م ٠ كان الشاعر هسيود يقول لليونان فى « الاعمال والايام » (البيت ٤٧-) أن باندورا ، وهى حواء اليونان ، كانت مصدر كل الشرور والاوبئة ، ويندد فى البيت ٣٧٣ بالنساء لانهن يمشين بطريقة تحريك الاليتين بالتبادل ، أو ما تسمونه هنا طريقة (هز ياوز) لكى يلخبطن عقول الرجال (راجعوا أيضا الابيات ٣١٩ و ٧٠١ وما يليه) ... حتى بريكليس العظيم رئيس جمهورية آثينا فى القرن الخامس ق٠م ٠ كان يقول : « خير النساء اقلهن ذكرا بالخير والشر فى محضر الرجال » ... ورد هذا القول المأثور فى ثيوسيديد ٢/٤٥ ... وفى « الثسمافوريا » لارسطوفانيس أيضا (البيت ٧٩٧) ان واجب النساء المتزوجات هو ان يتوارين د.. ـ البيت حتى لا يراهن المارة ت الشارع من النوافذ ... ولكن ارسطوفانيس لم يصل طبعا الى حد تحريم النظر من وراء الشيش ... وقد حل أجدادكم فى العصر التركى المملوكى هذه المشكلة باختراع (المشربية) فآذا أردتم احياء هذا التقليد فعندنا فى امريكا نوع من الزجاج من وقف وراءه رأى دون ان يرى .. طبعا كانت هناك استثناءات قليلة لهذا الضغط والتردد على النساء ... فهيرودوت يذكر نحو ٥٠٠ ق٠م انه فى اقليم ليديا ، حيث أقنام يونان الاناضول ، لم يعترض الناس على ان تحصل البنات على ثيابهن بالدعارة (٢٩٣)

٠٠ ولا تزال هناك رواسب من هذا التقليد باقية الى اليوم فى المراة العصرية ، ولكن المراة العصرية اكثر دردحة من جدتها الليدية ، لانها تعلمت كيف تأخذ ولا تعطى وجعلت من السفلقة فنا جميلا ٠٠٠ فبعض بنات اليوم بمجرد غمزة او ابتسامة او على اكثر تقدير مجرد قبله يستدرجن الرجل فى شنطة يد أو زوج من الاحذية وربما فى فستان أو ساعة حريمى وهن فى الطريق الى السينما ٠٠٠ كذلك كانت فساتين نساء اسبرطة مشقوقة فى الجوانب من تحت حتى الفخذين ، وهى موضة متحررة كانت تثير استهجان كل اليونان ٠

والحقيقة ان الحضارة اليونانية كانت العصر الذهبى لا لست البيت ولكن للغانية أو « الهتيرا » كما كانوا يسمونها ، ولشىء آخر أخجل ان اسميه ولكنكم تعرفونه جيدا من شعر ابى نواس ٠٠٠ فأفلاطون فى « القوانين » يقول : « لدينا غوان لمتعتنا ومحظيات لخدمتنا الشخصية اليومية وزوجات ليلدن اطفالنا ويدبرن منازلنا بأمانه » ٠٠٠ وفى قانون ورد ذكره فى ديموستين الخطيب (« فى الارستقراطية » ٥٥) نجد ان النص يشير الى الام والزوجة والاخت والبنت والمحظية فى عبارة واحدة ٠٠٠ وفى هوميروس نجد ان امتلاك محظية او اكثر كان أمرا اشيع ما يكون فالمحظية اذن كان لها وضع رسمى ٠٠٠ اما الزوجة المسكينة فقد نصت القوانين والعرف والفلسفة واللاهوت عند اليونان ان مهمتها كانت محصورة فى شىء واحد وهو : « انجاب

ذريـــة شرعية » كمـــا فى لوسيان (« تيمون » ١٧) وكليمنت الاسكندرى (« ستروماته » ٤٢١/٢) وبلوتارك (« الموازنة بين ليكورجوس ونومـــا » ٤) وزينوفون (« الذكـــرات » ٣/٢/٢) وديموستين (« فورميو » ٣٠) وغيرهم ... وفى كتاب ارسطو عن « الدولة » (١٢٦٠/٨/٢) ان هومبروس ذكر ان الرجل كان يشترى زوجته من والديها بما كان يدفعه من « هدينا » أى هدايا يقدمها للعروس . وكانت غالبا من المـــــاشية ... ولكننـــا نعلم ايضـــــا من هوميروس فى « الاوديســـا » (٢٧٧/١ و ١٩٦/٢) وفى « الاليـــاذة » (٣٩٥/٦ و ١٤٤/٩ وغير ذلك) أن الزوج بعد أن يتسلم زوجته كانت الزوجة تتلقى من ذويها دوطة لزواجها ونعـلم من « الاوديسا » ١٣٢/٢ انه فى حـالة الانفصال يسترد أبو المـرأة الدوطـة ، ومن « الاوديســا » ٥٩٥/٤ أن المـرأة تفقد حقهـا فى الدوطـة فى حالة الخيـانة الزوجية ..

صانع الاقنعة : ولـماذا كل هـذه الارقام ؟ تكلم كمـــا يتكلم الناس .

روستوفتسيف : مستحيل ... هكذا نتكلـــــم فى محاضراتنا ... والاستاذ الـذى لا يذكر مراجعه يفصـــل فورا منعـا للتلفيق ، والا جلس اى استاذ فى اقرب بار وبنى حضارة بأكملهـا على الورق من رغاوى البيرة .

صانع الاقنعة : استمر وعنعن كما تشاء .

روستوفتسيف : على العموم حكاية « الذرية الشرعية » هـذه كانت الركن الوحيـد للزوجية فى اليونان القـــديمة .

والفلاطون هـو الوحيد الـذى ادخل عليها بعض التحسينات فى « القوانين » (٧٢١/٤ و ٧٧٤/٦) حيث قال ان الزواج هـو أداء واجب عام : فواجب المواطن ان يترك وراءه ذريـة تعبـد الالهة وتخـدم الدولة ، وكان افلاطون يطالب بتطبيق عقوبات على العزاب كالغرامة وفقدان الحقوق المدنية • وفى بلورتارك (« ليكورجوس » ١٥) ان عزاب اسبرطة كانـوا يفقـدون بعض حقوقهم المدنية كالاشتراك فى المباريات ، وكانوا يجمعون فى السوق ويؤمرون بأن يغنوا اغانى يسخرون فيها من انفسهم ••• يعنى كل واحـد فيهم يترنم بقـوله مثلا : انا حمار كبير ••• وهو اسلوب فى النقـد الـذاتى اجمل بكثير من اسلوب الروس فى عهـد ستالين ومن أسـلوب الانجليز فى الكنيسة الميثوديست حيث يقف المـــذنب أو المـذنبـة وهو يرتعش وسـط جمهور مكفهر الوجوه من المصلين ويعترف بأعلى صوته : أنـا قضيت الليلة الماضية فى بيـت مسز فـلان ، او انا سرقت دجاجتين واوزة من حقـل جارى فلان ، فليسامحنى اللـه ••• ولكن قوم اسبرطه كانوا قوما غريبى الاطوار ارجو الا يتشبه بهم أحـد فقـد كانوا يعشقون كمال الاجسام وصحة الابـدان فى سـبيل الحـرب والرياضـة لدرجـة ان بلوتارك روى ان الزوج الاسبرطى كان من المـألوف ان يعير زوجته مؤقتـا لرجل آخر اقوى منـه واصح بـدنا لينجب لـه اطفالا اصحاء اقوياء وسيمين ، ويشبه بلوتارك الزواج الاسبرطى بتهجين الخيول بهـدف تحسين النسـل •• وقـد احيـا الالمـان هـذه العادة الاسبرطية الغريبة ايـام النازية ، وكان جزءا من واجبات الشباب الهتلرى والشابات

to: www.al-mostafa.com

الهتلريات ان يقدموا للرايخ الثالثنماذج معتمدة من الجنس الآرى • قامة فارعة مثل قامة جويبلز وقوام ممشوق مثل قوام جورنج وشعر أصفر بلوند مثل شعر هتلر •• وعيون زرقاء وقسوة جرمانية مثل ايرما جرايس التى كانت تصنع الاباجورات من جلد الاسرى •

صانع الاقنعة: دعنا من موضوع النسل ••• هذه مشكلة اخرى سنبحثها عند مناقشة حكاية تحديد النسل ••• تكلم عن المرأة فقط •

روستوفتسيف : أنا فرغت تقريبا ••• لم يبق الا ان اقول انه نظرا لعدم اختلاط الجنسين فقد كان زواج اليونان يتم عن طريق الخاطبة ، ولكن وظيفة الخاطبة كثيرا ما اختلطت بوظيفة أخرى سيئة السمعة ••• ولم نسمع احتجاجا على هذا النظام الا فى افلاطون (« القوانين » ٧٧١/٦) الذى طالب باختلاط الخطيبين قبل الزواج حتى ينجو الزوجان من الخداع ••• منهذا ترون أن الزوجة فى اليونان القديمة كانت حياتها هامشية ومحاطة بجدران كثيفة ، ولكن هذا لم يمنع ان تكون الخيانة الزوجية موضوعا شائعا فى أدب اليونان شيوعه فى حياة اليونان •• ولكن اليونان القديمة كانت فى الوقت نفسه فردوسا للغوانى او « الهتيرات » اللواتى مجدهن ادب اليونان شعرا ونثرا فى كل العصور وبقى لنا من أسمائهن اكثر مما بقى من اسماء الزوجات ••• وكان عصرهن الذهبى فى القرن الرابع ق•م • فاشتهرت منهن فرينا التى كانت موديلا للمثال براكساتيليس

فى تماثيله لافروديت ، واشتهرت الغانية لايبس عشيقة المفكر ارستيب وجلوكا ملهمة الكاتب الكوميدى مناندر وليونتيون عشيقة الفيلسوف ابيقور • وكان لاكثر كبار رجال الدولة غوان شهيرات مثل اسبازيا صاحبة بريكليس وثارجيليا عشيقة ملك الفرس اثناء الحروب الفارسية ، وتاييس عشيقة الاسكندر الاكبر ، وكانت غانية اثينية جميلة تنازل عنها الاسكندر لقائده بطليموس الذى تزوجها واجلسها معه على عرش مصر واسس بها اسرة البطالسة ، وكانت لهـــا صديقة غانيه اسمها لاميا حكمت اثينا مع عشيقها الجنرال ديمتريوس بوليوركتيس واقام لها الاثينيون معبدا باسم افروديت لاميا • والاصل فى هؤلاء الغوانى انهن كن مجرد نساء عموميات لهن تسعيرة فى الدولة الاثينية (١ أوبول فى ميناء بيريه وفى حى الفخارين) ، أما اللوكس نكن يصلن الى ٦ اوبول ، وكانت الدولة الاثينية تشرف بدقة على هذه العمليات بسبب الضرائب وانتهت بتاميم الهتيرات فى ميناء بيريه وفى حى الفخارين • وكان جزء لا بأس به من ايرادات الدولة يحصل بهذهالطريقة الغريبة • ولكى ثبت تاريخيا ان ايرادات الضرائب من القطاع الخاص (اللوكس) كان أكبر من ايراداتها من القطاع العام • المهم أن البنات الهتيرات ظهرت بينهن طبقة ذكية مثقفة نحو ٣٠٠ ق•م • ايام الفيلسوف ابيقور ، فكن ينتظمن فى فصول لدراسة الفلسفة ويتجادلن فى الماهية والمقولات والمفهوم والماصدق والاسطقسات ويقال ان ليونتيون صاحبة ابيقور تركت

رسالة لا بأس بها فى الفلسفة • نوع من الجيشا اليونانية لتسلية العقل والجسد فى وقت واحد • أما الطامحات منهن فوصلن الى ما وصلت اليه مدام دى ريكامييه ومدام دى مانتنون ومدام دى مونتسبان ومدام دى بارى ومدام دى بومبادور أيام البوربون فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية • أما البروليتاريات السناكيح منهن فكان اقصى منى الواحدة ان تصبح محظية لرجل واحد وتترقى الى رتبه « بالاكا » أى « محظية » بدلا من كونها مرفقا عاما ، وكان ذلك يتم مقابل ٢٠ الى ٤٠ قطعه من الفضة ، وكان الرجل يستطيع ان يبيع محظيته فى اى وقت يشاء • نوع من الرقيق الابيض • هذه كانت احلام الحرية بالنسبة لطبقة الهتيرا الغلبانة : اقصى منى الواحدة ان تصبح أمة أو جارية ! لقد كان عصرا ذهبيا حقا ، ولكن للرجال فقط •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : انظروا اليه • انظروا اليه ••• انظروا اليهم • ابو الفتوح الصباح ومجاهد بن الشماخ وأبو سنة دهب لولى وعز الدين ايدمز المحيوى • انهم يتلمظون سيدى الرئيس : امنعهم من التلمظ•

مجاهد بن الشماخ : لا تصدق كلمة واحدة مما يقول • هذه دعاية مبشرين •

أبو سنة دهب لولى : هذا فوق طاقة البشر • لم اعد احتمل ••• انا اطالب بتدريس اليونانيات فى كل كليات الجامعة •

صانع الاقنعة : ممنـوع التلمظ ٠

الماركسية المسخسخة : اذا كان اليونان على هـذه الدرجة من الانحطاط ، فلماذا يهوسوننا اذن بالادب اليونانى والفكر اليونانى والحرية اليونانية والحضارة اليونانيه ٠ ولماذا يقولون ان اليونان اخترعوا الحب الافلاطونى ٠ انـا لما كنت بنت ١٧ احببت ابن الجيران من وراء شـيش البلكونة وضبطنى ابى اسوى له شعرى فى الشباك لارد تحيته فضربنى علقة سخنة ، وسمعت اخى الكبير يدافع عنى ويقول لابى انه مجرد حب افلاطونى فسكت عنى ٠ ولما عرفت ان افلاطون يونانى احببت اليونان بسبب افلاطون خيبت أملى يا شيخ ٠

روستوفتسيف : لا تعولى على حكاية الحب الافلاطونى هذه يا سيدتى ، لانه خاص بالرجال فقط ٠ أصل الحكاية ان افلاطون كتب كتابا اسمه « الندوة » فى صورة محاورات بين جماعة من صفوة المثقفين فى اثينا تجرى فى بيت الشاعر اجاثون ، وهو شاعر سيىء السمعة جدا فى الكلام عن الرجال ، وعلى لسان باوسانياس يقول افلاطون أنه يحب التفرقه بين الحب المقدس القائم على الانسجام الروحى والتجاذب الفكرى ، وبين الحب المبتذل القائم على ارضاء الجسد ٠ وعنده ان الحب المقدس لا يمكن ان يقوم الا بين الرجل والرجل ٠ أما الحب بين الرجل والمرأة فمن اختصاص الربة افروديت باندیموس ، اى ربة الحب المهيمنة على كل الناس ٠ وأما افروديت اورانيا ، أو ربة الحب

السماوية فلا شأن لهـا بالحب الـذى يقوم بين الرجـــل والمرأة • فحب الرجل للنساء خارج من حيث المبـدأ عن نطاق الحب الافلاطونى الذى لا يعـرف نشوته الا « الاورانيون » ومعناها حرفيـا « السماويون » أى أصحاب الحب السماوى أو العشق الالهى • ومنذ ذلك التاريخ أصبح من يقول عن رجل: « هـذا أورانى » يسبه ويتهمه بأشياء فظيعة لا استطيع ان اتفوه بهـا • وقـد كانت الاورانية عنـد اليونان شائعـة كالاكل والشرب ، والغريب انهـا كانت عنـدهم لا تتعـارض مع البطولة • ففى « الياذة » هوميروس نجـد الاورانية بين البطـــل اخيل والبطل باتروكل وبين البطـــل باتروكل والبطـل بلاتون • وفى ارسطوفانيس ، على عهدة افلاطون فى « الندوة » ، ان الاورانيين هم اقـدر الناس على الاشتغال بالسياسة • والمشرع الشهير صولون كان ينظر للاورانية نظرة طبقية محض فأجازها فى قوانينه بين المواطنين الاحرار وحرمهـا بين الاحرار والعبيد وليؤكد هـذا المعنى حرم تـداول الاموال فى كل علاقة أورانية ، والفكرة العامة عنـد اليونان ، ولا سيما فى اسبرطه ، ان الحب بين الرجال كان امـــارة الارستقراطية أو الـدم الـدورى الازرق ، والدوريون هـم سكان بـلاد الاغريق قبل نزول اليونان بهـا • أمـا الحب المـألوف فهـو للدهماء وفى مجـلس العمـوم البريطانى الآن تجمع أورانى لاحياء قوانين صولون ، مما يـدل على عصريتها المتناهية •ولكن هـذا كله لـم يمنع ابطال اليونان وملوكهم وأمراءهم ومواطنيهم ان يكونوا عاديين فى علاقاتهم مع النساء

فيتزوجوا وينسلوا ويدافعوا عن نسائهم كما فعل منيلاوس فى حرب طروادة ، ولم يمنع أخيل مثلا من ان يغضب ويجازف بمستقبل حرب طروادة لانهم حرموه من الاسيرة بريسيس اليونانى مجد جمال الرجل بتماثيل هرميز وابولو بلفدير اكثر مما مجد جمال المراة بتماثيل افروديت او ديميتر . انسى حكاية الحب الافلاطونى يا سيدتى فهى خطا شائع . حضارة اليونان كانت حضارة الرجل لا حضارة المراة . والفرق بين اليونان والعرب هو ان اليونان مجدوا الاورانية بينما العرب نددوا بالنواسية .

وهنا شهق ابو سنة دهب لولى شهقة عظيمة واخذ يتمتم : « هذا فوق مستوى البشر . هذا لا يطاق » . فالتفتت اليه كل الانظار مستطلعة . اما صانع الاقنعة فأخذ يهز راسه مستنكرا وهو يلعن بصوت خفيض . هذا ما جرته علينا الرجعية وترهات ابو الفتوح الصباح عن العصر الذهبى والمراة الذهبية . ان نستمع الى كل هذا الحلام الفارغ . بلا حياء . بلا حياء . وباسم العلم . ثم التفت الى الخواجة روستوفتسيف وقال :

ـ انت يا خواجة لم تذكر كلمة واحدة عن حالة المراة فى روما القديمة .

فاجاب الخواجة روستوفتسيف بقوله :

ـ لا تكن عجولا . كل شىء مرهون بأوانه . موعدنا فى الجلسة القادمة .

ختامهـا مسـك

قال **صانع الاقنعة** : يـا اخوانى · جاءتنى عريضـة وقع عليها عشرون عضوا من اعضاء هـذا المؤتمر ، يسمون انفسهم « رابطة حماية الالوف من اخطار الايف والاوف » · التابعة « للوكالة المركزية لحمـاية الملايين من اخطـار لنـين وستالين وكل بلشفى لعين » · وفى هـذه العريضة أن الخواجة روستوفتسيف دسيسة شيوعيه على عقائدنا السنية · وانا استنكر هـذه الاتهامات الجزافية · ولكنى برغم هـذا ، منعـا للشغب ، شحنت هـذا الخواجة فى صندوق الى الجبانة التى جـاء منها فى مكان ما بأمريكا الشمالية قبل ان يقـدم تقريره عن حـالة النساء فى روما القديمة · وبناء عليه فعليكم الآن ان تـدعوا احـد رجلين : امـا جيبون الانجليزى وامـا مومسون الالمـانى ليصف لنـا حالة المرأة فى روما الذهبيـة وما تيسر من العصور الوسطى ·

مجاهـد بن الشماخ : لم نسمع بهـذا ولا ذاك · لمـاذا لا نـدعو المسعودى أو المقريزى أو ابن عبد الحكم أو ابن تغرى بردى او ابن أياس ؟

صانع الاقنعة : مؤلاء سندعوهم فى مناسبات أخرى ، ولا سيما حين نتكلم عن الطولونية والاخشيدية والفاطمية والايوبية • أنا اقترح أن ندعو ادوارد جيبون رغم أنه مات منذ مائتى سنة لان جيبون فى الواقع واحد من قبيلتنا نحن الادباء • هل من معترض ؟

ولم يعترض معترض ، ولكن لم يبد عنى أحد حماس • فدخل جيبون قاعة الجلسة بمجرد ان قال صانع الاقنعة : « أدخل يا جيبون » •

جيبون : انتم تريدون تقريرا عن نساء الرومان ؟

صانع الاقنعه : من اجل هذا دعوناك • وسنعطيك مقابل هذا كالعادة تذكرة طائرة مجانية الى الاقصر لتزور الكرنك ووادى الملوك •واذا انسجمنا من كلامك فرجناك على السد العالى وابو سمبل ، اما اذا انشكعنا جدا دعوناك للاقامة اسبوعا كاملا فى لوكاندة عمر الخيام على حساب الخواجة طرايانووزارة الثقافة •

جيبون : أولا يجب أن تعرفوا ان الرومان كانوا على عكس اليونان على خط مستقيم •

صانع الاقنعه : ماذا تقصد بالضبط ؟

جيبون : أولا الرومان كانوا قوما اسوياء جنسيا ، وكانوا يحتقرون الشذوذ أو الاورانية ويسمونها « العادة الجريجية » • ثانيا الرومان كانوا كأهل الغابة ، يعيشون بلا فرامل ، وينظرون للجنس نظرهم الى الاكل والشرب • وكانوا يعيشون فى جزع من الجوع الجنسى ويسوون بين

الرجال والنساء فى الفوضى الجنسية • كانت الحياة الجنسية عندهم تبدأ فى سن ١٢ بالنسبة للبنات و ١٤ بالنسبة للاولاد • ومن أيام روموليوس مؤسس روما ، حتى ظهور النظام الملكى ، كانوا يعيشون فى شىء شبيه بفردوس القطط والكلاب • ومع ذلك فقد عرفوا نظام الزواج حتى فى عصر الفطرة • وكانت اقدم صور الزواج عندهم شراء الزوجة من ابيها • ولكن كان فى امكان اى رجل ان يصبح الزوج الشرعى لاى بنت دون موافقة أبيها اذا استطاع ابقاءها فى بيته سنه كاملة ، بشرط الا تبيت البنت خارج بيته اكثر من ثلاث ليال طوال السنة • فاذا حدث هذا أمكن للانسان ان يسترد ابنته ويبيعها لزوج آخر •

المعلم العاشر : ولماذا ثلاث ليال ؟

جيبون : لا تسلنى فانا لا اعرف • ولكن لا تظن ان الرومان كانوا قوما بلهاء لقد قضوا كل حضارتهم لا عمل لهم الا شن الحروب ومد الطرق ووضع القوانين • وكانت بعض قوانينهم تبدو غريبة ولكنها فى الحقيقة وجيهة • مثلا كان من اسباب الطلاق عندهم ان تقوم المرأة بتزييت اقفال المنزل • والاغلب أن الازواج الرومان كانوا يربطون بين التشحيم والخيانة الزوجية على كل حال الرومان كانوا ينظرون الى النسل البشرى نظرهم الى العجول والبقر والجديان والماعز• فكان الاب « يملك » كل من ينجبهم من بنين وبنات ويتصرف فيهم كما يشاء : بالقتل او البيع

او المقايضة أو الاستثمار • نحن فى انجلترا نحب أن نقايض على زوجاتنا ، ولكن الجديد عند الرومان انهم كانوا يقايضون على أولادهم • تصوروا ان كلمة رومانتيكية مثل كلمة « الفاميليا » يعنى « الاسرة » كان معناها باللاتينية « الرقيق » او « الممتلكات » أو شىء قريب من معنى « ما ملكت ايمانكم » وهذا تجاوز سلطة الاب عند اليونان وفى بابل واشور ومصر القديمة • ولكن كان على الاب قبل أن يتصرف فى بنيه أن يستشير مجلس الاسرة وهو يضم الاقارب والاصدقاء • على ان الاب الرومانى فقد تدريجيا سلطته فى قتل أولاده وانكمشت سلطته على بناته فى الحدود المالية ، فزواج البنت كان مصدر دخل للاب • وبقى للزوج الحق فى قتل زوجته اذا ضبطها متلبسة بالخيانة ، ثم سلب منه هذا الحق فى روما الامبراطورية ، أى منذ يوليوس قيصر فصاعدا ، غالبا لان يوليوس العظيم كان يخشى ان تبقى روما بلا نساء •

وفى الالواح الاثنى عشر (٤٥٧ - ٤٤٩ ق•م) وهى اقدم قوانين مدونة معروفه فى روما ، كان القانون يحرم الزواج غير المتكافىء ، أى الزواج بين أبناء الاشراف وبنات الشعب • وكان من اشد الناس ضراوة فى تطبيق هذا القانون حاكم متعجرف اسمه ابيوس كلوديوس ثم سخر منه القدر فجعله يعشق بنتا من بنات الشعب اسمها فرجينا وكانت فرجينا بنت ضابط مخطوبة لتربيون من تربيونات الشعب ، وهو مثل قولكم عضو مجلس الامة •

وغضب الاب لشرفه قطعن بنته واجهز عليهـا فى الفورم ، وهـو سوق رومـا • وادى هذا الى قيام فتنـة فى الجيش فتراجع الاشراف والغـوا القانون وأجازوا الزواج المختلط •

وبتقـدم المدنية الرومانية فقـدت المـرأة قيمتها كعاملة أو دابـة من دواب الحمل فى الحقول ، واصبحت ست بيت ، أى اصبحت عبئا على زوجهـا • وبهذا تغيرت عـادة شراء الزوجات ، واصبحت الزوجـة هى التى تدفع المهـر الـزوج وتشارك فى الانفاق على البيت • وهـذا اعطى الاب الحـق فى ان يحتفظ بسلطته على بنته بعـد الزواج ، كمـا ان استقلال المـرأة الاقتصادى دعم مركزها ووسع حرياتها الى درجـه غير لائقة بمكارم الاخلاق ، فشاع التساهل فى الحياة الزوجية • وعلى كل حـال فان الزوج الرومانى لـم يكن فيه من صفات عطيل شىء كثير ، بـل كان رجـلا عمليا يقبل الامر الواقع • وكان من الممكن للطرفين فض الزواج اذا استفحل الخلاف • وكان يمكن للمرأة ان تطلب الطلاق عن طريق القاضى لاسباب متعـددة منها غياب الزوج مـدة طويلة فى الحرب ، وقـد انتشر الطلاق فعـلا أثنـاء الحرب البونية الثانية ، وفى النهاية كان يكفى للطلاق مجـرد طلب الـزوج للخـدمة العسكرية ! وفى روما الامبراطورية استغنى الرومـان عن القاضى فى الاحوال الشخصية فأصبح يكفى للطلاق مجـرد اعلان شفوى من أحـد الطرفين • وكان من الممكن ترتيـب الامور بطريقة أخرى : فكان مألوفـا أن يتنـازل الزوج عن زوجته لصـديق من اصدقائه أو من اصدقائها ، مثلا كاتـو

الاصغر تنازل عن زوجته النبيلة مارسيا لصديقه هورتنسيوس لان هورتنسيوس اراد أن ينجب منها أطفالا ٠ لاشك ان الرومان كانوا يرون هذا افضل من ان تنجب مارسيا لهور تنسيوس اطفالا وهى لا تزال فى عصمة كاتو ٠ كذلك أوكتافيوس قيصر الشهير بأوغسطوس ـ عدو انطونيوس وكليوبترا ـ انتقلت اليه زوجته الاخيرة ليفيا بالتنازل من زوجها كلوديوس ، وفى روما الجمهورية ـ اى قبل القياصرة ـ كان هذا التنازل لا يتم الا برضا الزوجة لمنع بيع الزوجات أو نقل امتيازهن أو اعطاء التوكيلات بحقوق الارتفاق والاستغلال ولكن روما الامبراطوريه بدات تتساهل فى هذا الشرط الانسانى ، فاصبح التنازل عن الزوجة كالتنازل عن عقار أو موبيليا أو بهيمة ٠

عميد الصعاليك : يعنى مثلا شخص مزنوق فى قرشين هل كان يمكن أن يتنازل عن زوجته ؟

جيبون : لا ٠ هذا يكون بيعا ، والبيع ظل فى روما الامبراطورية امتيازا لصاحب المال وهو الاب ، وانما فى اغلب الحالات كان التنازل يتم لاسباغ الصفة القانونية على زنا الزوجة بطريقة ودية بدلا من قتلهابحسب ما يبيح القانون ٠ وفى العصور المتأخرة حين انتشرت الفروسية ٠ كان من قواعدها اعتراف الفارس بعشيق زوجته ٠ ولم يكن هذا مظهرا للكرم الرومانى ولكن اثباتا لان لزوجته معجبين منطق غريب طبعا ٠ فنحن اليوم لا نسمى مثل هذا الرجل

فارسا بـل نسميه باسم آخر اقـل رومانتيكية · فانظروا كيف تقدمت آداب المحـدثين على آداب القدمـاء وعلى العموم فانه لم يعرف عن الرومان ابـدا انهم كانوا يقتتلون عـلى النساء ، والمرآة عنـدهم لم تكن تـدخل فى قاموس النخوة · على الفلوس · نعـم · امـا على النساء فـــلا ·

مجاهـد بن الشماخ : الم نقـل لكم ان هـذه الشعوب الاوربية منحطـــة بالفطرة ؟

الفارس الفروس : على العموم من يقرأ « مجنون ليلى » لاحمد شوقى يجـد ان العرب فى العصر الذهبى عرفت هـذه الفروسية المهببة ، ولو فى تقاليد العذريين وبنى عـامر · قيس مثلا كان يغار من ورد زوج ليلى ويضـايقه بالاســئلة الكثيرة عما كان يجرى بينه وبين زوجته بالليـل ، مثـــل قولـه :

بحقـك هـل ضممت اليـك ليـــلى
قبيـل الصـبح أو قبلت فاهـا ؟
وهـل رفت عليـك قرون ليـــلى
رفيف الاقحـوانة فى نـــداها ؟

لدرجة ان ورد ذات مـرة أجابه معاتبا فى رفـق :

الزوج لا يسأل هـل قبل اهله وكم ؟
نعم لقـد قبلتها من رأسها الى القدم

يعنى الزوج يعتـذر للعاشق عن قيامه بواجبـــــاته الشرعية · بـل ويؤكـد لـه ان ليلى لا تزال صنـاع سليمة ليوم ان تسلمها :

كانت اطافتى بهـا كالوثنى بالصنم ٠

صانع الاقنعـة : فلنعـد الى الرومان ٠

جيبون : هـذه عـادة سيئة عنـدكم ٠٠٠ كل شىء تنسبونه الى العرب أو المصريين ٠ حتى العادات السيئة ، اتركوا شيئا للشعوب الاخرى ٠ العرب لـم تبتدع هـذه الفروسية المهببة ٠ هـذا كان من ابتكار الرومان : ان العاشق أو العشيق كان يغـار من الزوج ٠ ويقال ان الشاعر أوفيـد هـو الـذى ابتكر هـذه التقليعة فى ديوانه « الغراميات » وفى ديوانه « فن الحب » وعنـه انسرت فى أوروبا اكثر من الف سنة ، اى طوال العصور الوسطى ، وبالاخص بعـد ان امتلات اوروبا بالفرسان من قوط وفنـدال وهون وبرابـرة نورديـين بشعر أشقر وعيون زرقاء وقامة فارعة مثـل الملك آرثر وفرسـان المـائدة المستديرة : تريستان ، وبارسيفال ، وسيجفريد ، ولانسيلوت وجالاهاد ، ممن كان يحلم بهـم هتلـر فى نوبات الصرع الآرى التى كانت تنتابه ٠ وكانـت للشاعر أوفيـد نظرية معقولة فى العشق نطبقها نحن فى الزواج وهو انـه لا بهجة فى الغرام اذا جـاء سهلا يسيرا ، اى ان الغرام لا يكون غراما الا اذا كان غزوا لقلب امرأة لآ يستطيع كل انسان أن ينالها ٠ وكلما شق الغزو زادت اللـذة عنـد سقوط القلعـة وزادت نشوة الانتصار ٠ والمرأة التى لا حارس لهـا تشبه القلعـة المفتوحة أو قلعـة بغير فرسان ٠ وبالطبع فى هـذه التقليعة تكون امنع قلعة هى المرأة المتزوجـة التى يحرسها زوج غيور شـديد اليقظة مثـل الوولف الالمـانى

أو الوولف الالزاسى ، واوفيد يقول انه يحب صاحبته كورينا بسبب مناعتها وأنه يغار كلما تصورها تقبل زوجها ويحذرها من حب زوجها ، بل ويصور فراش الزوجية على أنه فراش « الخيانة » تماما مثل صاحبكم قيس بن الملوح ، مجنون ليلى • والحب عند أوفيد له استراتيجية مثل استرلتيجية الحرب • فالمكان الملائم لحصار المراة ليس البيت ولكن الحفلات والمسرح والملاهى العامة • واستراتيجية بلا تكتيك لا تؤدى الى شىء : فلابد اذن من مرسال أو وسيط، وأفضل مرسال أو وسيط هو الوصيفة أو الخادمة • ثم ان الشجاعة نصف المعركة • ولكن يجب أن يفهم العاشق أن الهجوم الخاطف خطأ جسيم • فمد اليد أو خطف قبلة يفسد كل الخطط • المهم هو الصبر والتحلى بأداب السلوك التى يسمونها « الكورتوازى » أى سلوك البلاط ، باعتبار ان فينوس ربة الحب ملكة والعاشق فارس يخدم فى بلاطها والمظهر الطبيعى لهذه الفروسية هو خدمة المحبوبة واظهار الاهتمام بها فى كل مناسبة ، ولا سيما فى المرض ، والرمز الطبيعى لهذا الاهتمام هو الهدايا : من علب البونبون الى باقات الورد ، ولا بأس من خاتم رخيص أو حلق فالصو او شنطة يد من وقت لآخر • اما فصوص السوليتير فهى تفسد كل علاقة بين العشاق لانها تثير جشع المراة وتجعلها تنظر الى فارسها على انه منجم ماس أو بلاتين وليس مجرد معجب ولهان • طبعا ديوان « فن

الحب » عمل سكاندال فى روما القديمة ، لا لانـه كان خارجا على الاداب ولكن لانـه كان وصـفا صادقا للمجتمع الرومانى فالناس فى العادة لا تحب من يضع امامها مرآة لترى دمامتها الحقيقية • وعلى العموم فقـد نفى اوفيـد فجأة الى آخر أطـراف الامبراطورية فى تونى على البحـر الاسود سـنة ٨ ميلادية ، نفـاه الامبراطور أوغسطوس قيصر دون ابـداء اسباب لا بسبب شعره ولكن بسبب علاقته بحفيدة الامبراطور التى نفيت أيضـا فى نفس السنة •

وانتم تقولون بحق ان النـاس على دين ملوكهم • متاريخ اباطرة الرومان زفت فى قطران • خـذوا مثلا يوليوس قيصر الذى فتح الدنيا اذا صدقنا الازجال التى كان يؤلفهـا جنوده عنـه وعن علاقته بالسيد بثينيا كما جـاء فى « تاريخ القياصرة الاثنى عشر » للمؤرخ الرومانى سويتونيوس فـان يوليوس قيصر كان نواسيا من طبقـة كومودور • وبعـده أوكتافيوس اى أوغسطوس قيصر ، كان فظيعـا جنسيا ، وقـد تزوج ثلاث مرات : الاولى من كلوديـا التى هجرهـا ليتزوج من عشيقته سكريبونيا ، وكانت امرأة متزوجـة فطلقهـا من زوجها وهى حامل قبل الوضع بأيام ، ثـم طلقهـا بتهمة الانحلال الخلقى ، ليتزوج من ليفيـا التى دخلت عليه بطفلتين من زوجهـا الاول • وحين دب الملل فى قلبـه خشيت ليفيـا ان يتخلص منهـا فكانت تأتيه بالعـذارى الصغيرات جـدا من بنات الفقراء تماما مثـل صاحبكم شهريار فى « الف ليلة وليلة » وكان العـذر الرسمى الـذى

اعلنه أطبـاء البلاط ان هـذا يجـدد الخصوبة فى الامبراطور ولكن خصوبة الامبراطور لـم تتجـدد وانتهى امره بالتبنى ولن احـدثكم عن بنات زوجات الامبراطور وبناتهن مثـــل جوليـا وبنتها جوليا فقـد طحن مع الرجال وساءت سمعتهن لـدرجه ان أوغسطوس قيصر نفاهن وجردهن من الحقـوق الملكية • ولكن أوغسطوس حين بلغ الستين تحول الى رسول من رسل الاخلاق فسن مجموعة من القوانين لتشجيع الزواج وحماية الاسرة ، فحرم توريث العزاب الـذين فى سن الزواج وأعطى الاولوية للتعيين فى وظـائف الدولة لـذوى الذريـة الكبيرة وضيق فى الميراث على المتزوجين بـلا نسل وقيـد الطلاق فاشترط لوقوعه وجود سبعة شهود • وجعل الـدولة تتقاسم مع الزوج المخـدوع مؤخر صـداق زوجته المطلقـة للزنا ، وفرض العقوبات على الازواج الذين يخونون زوجاتهم مع محظيات • ولكن بعـد موت أوغسطوس قيصر لـم يلتفت أحـد الى قوانينه لان اباطرة الرومان الذين أعقبـوه كانوا تشكيلة غريبة من الشواذ والمصابين بالحب الافلاطونى ، مثل الامبراطور فيتليوس الـذى قتله جنود فسبازيان لسـوء سلوكه ، والامبراطور السورى الاصل هليوجابولوس الـذى كان يظهر فى الحفلات الرسمية فى ملابس النساء ويلبس ياقة مرصـعة بالجواهر واساور مرصعة بالـدر وقـد زجج حاجبيه بالقلم الاسود وصبغ خـديه بالبودرة والروج وكان يجلس فى قصره الى الذول وينسج كالنساء ، وقـد وزع ســلطاته الامبراطورية على عشاقه العديدين وكان احـدهم يســمى

نفسه زوج الامبراطورة ، وقد قتل الجنود الامبراطور وهو في سن الثامنة عشرة • حتى هادريان المحبوب تشبه باليونان في شيئين : اطلاق اللحية والافلاطونية او الاورانية • ولكن أغرب مافي الرومان أن أباطرتهم العقلاء كانوا شواذا جنسيا بينما كان اباطرتهم المجانين طبيعيين نسبيا : كاليجولا مثلا الذى عين حصانه قنصلا ، ودومتيان ونيرون وكومودوس طلقوا زوجاتهم بسبب الملل او سوء السلوك وزهدوا في النساء لان شهوتهم المفضلة كانت شهوة السلطة وشهوة تعذيب البشر •

وأفظع من أباطرة روما كانت امبراطوراتها ، واشهرهن مسالينا ، الزوجة الثالثة للامبراطور كلوديوس هذه كانت مجنونة بالجنس وحب السلطة معا ، وكانت معرفتها امتحانا عسيرا للرجال لانها كانت ترسل الى الجلاد عشاقها الخائبين • وفي مرة اعدمت رجلا لانها طمعت في بستانه واعدمت رجلا لانه أبى أن يسايرها الى الفراش • وفي مرة اخرى كانت تعدم أشراف روما بالجملة لتنفرد بالسلطان فلما استتب لها الامر بدأت « ترمرم » ففي مرة اعجبت باحد الممثلين فأمرت باحضاره الى جناحها الخاص ، ثم تفزت القفزة الكبرى التي خلدت اسمها في تاريخ الامبراطورية فخصصت لنفسها حجرة في بيت من بيوت الدعارة وعلقت يافطة باسمها الحركي أو اسمها في المهنة وهو ليسيسكا ، بحسب الاصول المتبعة في روما القديمة • وكانت روما كلها تتحدث بذلك وزوجهاالامبراطور كلوديوس لايحرك ساكنا ولكنه اعدمها أخيرا حين حاولت ان تخلعه لتجلس على عرشه عشيقها الشاب جايوس سيليوس • ثم تزوج كلوديوس من

اجربينا اخت الامبراطور كاليجولا التى كانت بينها وبين اخيها علاقة محرمة ثم نفاها . فلما اصبحت اجربينا سيدة روما اخذت تقتل من حولها من نساء البلاط الجميلات او تنفيهن غيرة من جمالهن . ونجحت فى أن تحمل كلوديوس على ان يحرم ابنه من وراثة العرش لحساب نيرون وهو ابنها من زوج سابق . ولما لم يمت كلوديوس فى سن معقولة دست له السم ، ثم حاولت ان تسيطر على ابنها نيرون كما سيطرت على زوجها كلوديوس فاغتالها نيرون . ولكن بوبايا سابينا ، زوجة نيرون الثانية نجحت فيما فشلت فيه أجربينا ، وكانت بوبايا من أصل شعبى ومتزوجه من غائد الحرس البريتورى فطلقها نيرون وزوجها من صديقه أوتو بقصد ان يعيش الثلاثة فى تبات ونبات . ولكن أوتو رفض هذا التبات والنبات فأبعده نيرون من بوبايا وجعله حاكما على المنطقة التى نسميها الآن البرتغال . ثم تزوج نيرون من بوبايا وجعلها امبراطورة روما فوضعت فى أنفه خطاما وحين أنجبت له بوبايا بنتا رقاها الى لقب « أوغسطا » أى « المعظمة » ولما ماتت أعلن أنها أصبحت الهه وبنى لها معبدا تقدم فيه القرابين والصلوات للربة بوبايا أوغسطا ! وكانت آخر حلقة كبيرة فى هذه السلسلة الذهبية من الملكات الفاجرات الامبراطورة ثيودورا (٥٢٧ ـ ٥٤٨) ميلادية زوجة جوستنيان العظيم أبو القوانين « المدونة » الخطيرة التى ترجمها الى العربية فقيه عندكم اسمه عبد العزيز فهمى

(باشا) • وقد كانت تيودورا فى الاصل بغيا شهيرة فى القسطنطينية ، وكانت وهى دون العاشرة تظهر على المسرح مع اختيها كوميتو وانستازيا وتخلع ثيابها قطعة قطعة للاغراء على طريقة الكباريهات المعروفة باسم « استريب تيز » ثم احترفت البغاء فى القسطنطينية على ارخص مستوى وعلى اغلى مستوى : من الجندى الى الجنرال ومن الجزمجى الى شهبندر التجار ثم عشقها والى بنتابوليس واصطحبها معه الى مقر عمله فى افريقيا • ولكنه لم يلبث ان طردها فتصعلكت فى الاسكندرية ورأت اياما من الضنك الفظيع ، وطافت تحترف البغاء فى كل مدن الشرق القديم • أما كيف أصبحت تيودورا امبراطورة بيزنطة ، فيقال أنها فى سنى ضنكها رأت رؤيا أو حلما بأنها ستكون زوجة ملك عظيم • عجيبة هذه حكاية الرؤى التى تراها النساء دائما فتغير مجرى الحياة • نحن فى القرن الثامن عشر عصر العقل نرفض تصديق هذه الاشياء ، أما انتم فى القرن العشرين فعندكم علم اسمه السيكولوجيا يبحث فى هذه الظواهر • على العموم النتيجة كانت ان تيودورا عادت من بافلاجونيا الى القسطنطينية متأهبة للعظمة الموعودة وفى القسطنطينيه مثلت فنون المرأة المحترمة ، او « تابت » كما تقولون فى لغتكم ، واشتغلت بغزل الصوف لتكسب قوتها • وعشقها جوستنيان بجنون ، وكان يحكم بيزنطة فعليا باسم عمه ، ولما عارضت الامبراطورة فى زواجه من تيودورا انتظر حتى ماتت والغى القانون الذى يحرم زواج الممثلات من

الاشراف وتزوج من تيودورا وتوجها وجعل رجال الـــدولة يقسمون لها يمين الولاء فجعلها بـذلك شريكته فى الحـــكم وكانت متغطرسة قاسية جشعة ينتظر صـدور الـدولة فى حجرة انتظارها ساعات طويله ثـم يؤذن لهم فى الدخـــول فيقبلوا قدميها • وكانت تخرج فيخرج فى موكبها ٤٠٠٠٠ تابع وعلى رأسهم وزير الداخليه (الوالى البرينورى) ووزيـــر الخزانة ، أمـا جناحها الخاص فكان مليئاً بالخصـــيان والوصيفات الداعرات ونشرت جواسيسها فى كل مكان ، وكانت تسجن من يعارضها فى اقبـاء مظلمة كدهاليز اللابرانت تحت قصرها وتأمر ان يعذبوا فى حضرتها ، فيموت منهم من يموت امـا من ينجو فكان يفقـد بعض أعضائه ليكون عبرة لمـــن يعتبر ، وهى تقاليـد نافعة فى فن الحكم حافظت عليها بيزنطة أكثر من ١٤٠٠ سنة حتى حكم السلطان عبد الحميد • وكانت تيودورا متدينة ألى حـدالهوس فبنت ديرا فى الضـــفة الشرقية من البوسفور جمعت فيـه ٥٠٠ من بغـــــايا القسطنطينية وحبستهن مـدى الحياة ، ومنهن من يئسن من الحياة فالقين انفسهن فى مياه البوسفور • وقـد كتب زوجها الامبراطور جوستنيان انـه استوحىكل قوانينه من زوجتـه المـلهمه من السماء •

هـذا هو العصر الذهبى للمرأة الرومانية : بـدأ بشراء الزوجات وانتهى بتاليه البغايا والتثليث الجنسى باســـم الفروسية • أمـا اذا أردتم تاريخ المرأة الذهبية طوال الف

سنة من العصور الوسطى الاوروبية ، فعندكم رجل يدعى ستيفن رنسيمان ، استاذ باكسفورد واخصائى عصور مظلمة ، يستطيع أن يحدثكم عن غرام تريستان وايزولدا وباولو وفرنشيسكا وابيلار وهلويزا وبترارك ولورا ودانتى وبياتريس (عمرها ٩ سنوات) وعن أحزمة العفة ذات الاقفال التى كان السير جودفرى وفرسان الحروب الصليبية يغلقونها حول خصور زوجاتهم قبل الرحيل الى الاراضى المقدسة ، وعما كان البابا اسكندر السادس يفعله مع اخته وبقية السيرة العاطرة لآل بورجيا ومديتشى وتشنشى وغيسكونتى • وربما وجدتم نوادر ذهبيه كثيرة عن بنات افروديت الذهبية فى الكتاب الذهبى عن « تاريخ البابوات » للمؤرخ فرايهر •

صانع الاقنعة : شىء مقرف • شىء مقرف • لا نريد مزيدا • انتم مقرفون يا حضرات الخبراء الاجانب •

جينون : الحقيقة دائما مقرفة يا حضرات الادباء المصريين ، نحن فى أوروبا نعرف ذلك ، ولهذا نواجهها بشجاعة فنثبت اقدامنا على الارض حتى حين نحلق فى السماء السابعة • ولهذا اعترفنا بحقوق المرأة وبحرياتها وساوينا ها بالرجل من يوم ان ساوينا الرجل بالرجل فى الثورة المجنونة التى تسمونها الثورة الفرنسية • أما انتم فلكثرة غرامكم بالشعر تعيشون بين السحب وترصعون هاماتكم بالنجوم وتلتحفون بالمجرة لتهنأوا بالنوم ، وتحلمون بعصر ذهبى لا وجود له وتتوهمون ان الاجداد كلهم فضائل والاحفاد كلهم رذائل ، نحن أيضا نفكر مثلكم

حتى اكتشفنا ان العالم يتقدم ولا ينحط ، وعرفنا ان التقدمية وهى النظر الى الامام خير من الرجعية وهى النظر الى الوراء • وكان ينقصنا الاثبات حتى جاء ولد لنا اسمه داروين واثبت لنا ان الانسان كان منحطا ثم ارتقى ولم يكن راقيا ثم انحط ، وخلصنا من فكرة الخطيئة الاولى التى لازمتنا منذ ان نظم الشاعر غرجيل رؤيا العصر الذهبى قبيل عام واحد ميلاديةحتى ١٨٥٩ ، عام ظهور كتاب « اصل الانواع » •

صانع الاقنعة : الآن وقد استنار المؤتمر بتقارير الخبراء عن المراة الذاهبية فى العصر الذهبى عند العرب وفى مصر القديمة وفى بابل وآشور وفى اليونان القديمة وفى روما القديمة ، لم يبق الا ان نأخذ الاصوات على هذا السؤال: هل المراة اليوم احط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو أرقى منها ؟

ابن سيركوف : سيدى الرئيس • قبل ان نأخذ الاصوات بلغنى أن الدكتور خطة أرسل لسيادتكم تقريرا برأيه فى هذا الموضوع • وأنا اطالب بقراءته على الاعضاء•

صانع الاقنعة : هذا صحيح ولكنى استبعدت هذا التقرير لان الدكتور خطة ليس اديبا ولا فنانا ، بل استاذ فى الاقتصاد •

ابن ماركوف : نريد التقرير •

على الزيبق الجوكى : يجب ان نتفاعل الفنون والآداب مع الاقتصاد •

الايديولوجى الفهلوى : حتمية الحل الاشتراكى تحتم هـــذا ٠

صانع الاقنعة : لا بأس ٠ لا بأس ٠

ثـم أخرج صانع الاقنعة من ملف أمامـه ورقة تلاهـا على الحاضرين ٠

قالت الورقة :

« سيدى رئيس مؤتمر الادبـاء والفنانين :

« تحيـاتى ٠٠٠ انتم رجال الادب والفن تعشـقون الكلمات ، ولاسيما الكلمات السحرية ، مثـل حقوق الانسـان وتحرير المرأة لانكم مثل قبائل الاشانتى والشولوك والدنكـا لا تزالون تعيشون فى عصر السحر ، حيث الكلمة مسـاوية للفعل ٠ انتم تثبتون كل شىء بالاشعار ، مثـلا اذا أردتـم تعليم البنات قلتم « الام مدرسة اذا اعـددتها اعـددت شعبا طيب الاعراق » ٠ واذا اردتم ان تجعلوا المرأة مجرد غانيـه فى الحريم قلتم : « كتب الحرب والقتال علينـا وعلى الغانيات جـر الذيول » ٠ واذا اردتم اغلاق مدارس البنـات وحصر نشاط المرأة فى الطبخ ومسح البلاط وشغل الابرة ، قلتـم مع المعرى :

علمـوهن الغـزل والـردن
وخـلوا كتـابة وقـراءة ٠
فصلاة الفتـاة بالحمد والاخـلا
ص تغنى عن يـونس وبـراءة

واذا اردتم تجنيـد النساء فى الخـدمة العسكرية او

ادخالهن الحرس الوطنى تذكرتم ان اليونان كانت فيهـــا نســاء محاربات اسمهن الامازونات • واذا اردتم ان تثبتـوا ان المراة يمكن ان تحـكم مثـل الرجل قلتم : انظروا الى حتشبسوت او الملكة اليزابيث او الامبراطورة كاترين • واذا اردتم ان تثبتوا ان المراة لا تقـل تدينـا عن الرجـل تذكرتم رابعة العـدوية وسانت تيريزا ، وهكذا • أمـا نحن رجال التنمية ، فنسمع كل هـذا الكـلام ونضـحك من سذاجه الادباء • نحن لا نقول ان قاسم أمين حرر المـراة المصرية ، ولكننـا ننظر الى اربعة رسومات بيانية نطلبهـا من اللواء جمال عسكر مدير ادارة التعبئة : (١) رسم بيانى بنسبة العماله بين النساء الىالعمالة بين الرجالمع بيـان بانواع الاعمال التى يزاولها الرجال والنساء • (٢) رسـم بيانى بنسبة اجور النساء الىأجـور الرجال • (٣) رسـم بيانى بنسبة توزيع الملكية بين الرجال والنساء • (٤) رسم بيانى بنسبه التعليم بين الرجالوالنساء مع بيان نـوع التعليم ودرجته • واذا أردنـا ان نعرف حـالة المراة فى عهد رمسيس الثانى أو البطالسة أو المماليك طالبنا أولا باعداد هـذه الكشوفات قبل ان نقرر اذا كان العصر ذهبيا أم فضيا أم نحاسيا أم حـديديا • وبعـد دراسة هـذه الجـداول نحـكم ان كانت المراة المصرية متحررة فعـلا أم نصف متحررة أم متحررة فى الظاهر فقط أم ميئوس من تحريرها ، واذا بقى لدينا وقت بعـد هـذا نظرنا فى هـذه الاعتبارات المعنـوية التى يتحـدثون عنهـا كاثر الثقافة أو الفلسفة الاجتماعيـة

والحضارية والفكرية والروحية فى تحديد وضع الانثى بالنسبة للذكر سواء فى الاسرة أو فى المجتمع ٠

« نحن نعرف مثلا من خريطة العالم الاقتصادية ان المراة الروسية والمراة التشيكوسلوفاكية اكثر تحررا واكثر مساواة بالرجل وبالتالى اقل ذهبية من المراة الانجليزية او الفرنسية ، لسبب بسيط وهو ان نسبة عمالة النساء الى الرجال فى الاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا هى ١ : ٢ اى امراة تعمل مقابل كل رجلين يعملان ٠ وقد كانت نسبة عمالة النساء فى روسيا القيصرية ، قبل ثورة ١٩١٧ ، فى المتوسط ١ : ١٠ ، وهذه الثورة الحقيقية فى انتاجية المراة الروسية هى التى ادت الى تدعيم حريتها ومساواتها بالرجل ، وليس بيانات تشايكوفسكى ، ومايكوفسكى وتوجآن بأرانوفسكى ٠ والمراة الانجليزية لم تتحرر نسبيا الا بعد الحرب العالمية الاولى ٠ فعندما كتب الحرب والقتال على الذكور الانجليز فى الفلاندرز وغيرها لم تجلس المراة الانجليزية على عجزها أو تكتفى بجر الذيول ، بل لبست الاوفرول ودخلت المصنع وساقت الكاميون أو التاكسى او الجرار ووزعت البريد وخرمت التذاكر ٠ كانت نسبة عمالة النساء فى انجلترا قبل ١٩١٤ نحو ١٥٪ من مجموع القوة العاملة ، اى ١ : ٧ تقريبا ٠ وكانت أول ثمرة لازدياد العمالة بين النساء حصول المراة الانجليزية على حقوقها السياسية جزئيا فى ١٩١٨ ، فنالت حق الانتخاب لمن يبلغ سن الثلاثين ، وفى ١٩٢٨ ، طبعا بسبب ازدياد عمالة

النساء ، لمن بلغن سن ٢١ ٠ والآن ، مـا هـو المـــوقف فى بريطانيا ؟ ارتفعت النسبة الى ١ : ٣ ، ففى المملكة المتحدة ٢٠ مليون وظيفة تشغل النساء منها نحو ٥ ملايين ويشـغل الرجال ١٥ مليونا ٠وهـذا الاستقلال الاقتصادى النسـبى هـو الدعامة الاساسية للمساواة بين الجنسين ٠ ولكنهـا طبعـا مساواة غير كاملة ، رغم أن بريطانيا تحكمها امـراة لسبب بسيط ، وهو ان متوسط اجر العامل فى بريطانيا ١٤ جك فى الاسبوع بينما متوسط دخل العاملة ٧ جك فى الاسـبوع (لا تسألونى لـماذا يسمون الجنيه الاسترلينى جك وليس جس) وليس معنى هـذا ان المهنـدس أو الطبيب أو المدرس أو العامل البريطانى بالضرورة يتقاضى ضعف مـا تتقاضاه المهندسة أو الطبيبه أو المـدرسة أو العاملة البريطانية اذا قامت بنفس العمل ، ولكن فى حساب المتوسطات نخلط دخل الزبال ودخـل المدير العام ونقسم على ٢ ٠ وسبب انخفاض دخـل النساء العامـلات هـو أن أكثرهن يشـغلن الوظائف الدنيا كاعمال السكرتارية والبيع فى المحـــلات التجـارية والخـدمة فى المطاعم والبارات والبيوت والفنادق والمحـلات العـامة ٠ نفس المشكلة قائمة بالنسبة للمراة الامريكية ٠ ففى الولايات المتحـدة نحـو ٧٠ مليون وظيفة منهـا نحـو ١٤ مليونا تشغلها النساء و ٥٦ مليونا يشغلهـا الرجال ، اى بنسبة ١ : ٤ ، وهـو اقـل من بريطانيا ومجموع أجـور النساء فى امريكا يتراوح بين ٥٠٪ و ٦٠٪ من مجموع أجور الرجال ٠ وقـد حصلت المراة الامريكية على حق الانتخـاب فى

١٩٢٠ ومع ذلك فالمرأة الامريكية تركب الرجل الامريكى لان نساء أمريكا يملكن بحسب آخر احصاء ٨٠٪ من قيمة الاموال المستثمرة فى أوراق مالية • أو بعبارة اخرى الذكور فى امريكا بروليتاريا تشتغل لحساب الاناث فى امريكا • وهذا يريكم ضرورة الرجوع الى الرسم البيانى بتوزيع الملكية فى المجتمع كلما أردتم ان تتكلموا عن تحرير المرأة • أما المرأة الفرنسيه فلم تحصل على حق الانتخاب الا فى ١٩٤٦ وهى متخلفة فى المساواة بالرجل رغم الاسطورة الشائعة فى العالم عن تحرر المرأة الفرنسية ، وهى اسطورة خلقها عشاق باريس ولم يدركوا أنها للاستهلاك الخارجى • ولم يدركوا أن باريس صممت لتكون عاصمة أوربا ، ونسبة العاملات الى العاملين فى فرنسا هى ١ : ٦ ، ولكن هذه القياسات طبعا غير دقيقة لان فرنسا لا تزال فى صميمها بلدا زراعيا ، والاحصاءات فى الريف عادة غير دقيقة لان تعاون المرأة فى الانتاج الزراعى والحيوانى وفى الصناعات المنزلية الخاصة بالاسرة أمر يصعب حصره • أما فى مصر فليست هناك احصاءات واضحة لحالة العمالة بين النساء والرجال بسبب غلبة الاقتصاد الريفى • وانما المعروف ان مجموع القوة العاملة (بين سن ١٥ وسن ٦٠) يتراوح بين ٦ و ٧ ملايين • ويظن ان نسبة عمالة النساء الى الرجال عندنا ١ : ٦ فلابد أن تكون نسبة أجور النساء الى أجور الرجال ونسبه توزيع الملكية نسبة مزرية جدا بحيث تفسر انعدام المساواة بين النساء والرجال رغم ما يقوله الميثاق

فى هـذا الموضوع ، بـدليل عجز المراة المصريه حتى الآن عن اصلاح قوانين الاحوال الشخصية مثلا • والمراة المصرية الى الآن تعتبر ان بطنهـا هى مصدر رزقهـا الاسـاسى • فوسيلتها الاولى فى ضمان قوتهـا اليومى هى تكبيل زوجهـا بعشرة اطفال حتى يعجز عن التخلى عنها ، أو لتضمن لنفسها اعـانة بطالة أو اعـانة شيخوخة فى حالة الرفت بالطلاق • وهـذا ما يجعل كل خطاطنا لتحـديد النسل هبـاء فى هبـاء ما لم تعـدل قوانين الاحوال الشخصية بحيث تمنع فصـل الزوجات فصلا تعسفيا أسوة بعمال المصانع وتطبق عليهن قوانين التأمينات الاجتماعية • ويوم ان نعترف ببطن المراة كأداة من ادوات الانتاج الحيوانى ونخضعها لقوانين التأمينات الاجتماعية يمكننا أن نواجه مشكلة الانفجار السكانى مواجهة علمية لا مواجهة شعرية ، ويمكن ان نحقق ما جاء من بنود عن المـراة فى « ميثاق العمـل الوطنى » •

وتفضلوا يا سيدى الرئيس بقبول وافر احترامى •

(توقيع)

(د• عبد الحافظ خطة)

ابن سيركوف : تحيـا الاقتصاد ولوجيا •

ابن ماركوف : تحيـا عمالة المراة • يحيـا الاقتصـاد محرك التاريخ •

الماركسية المسخسخة : تسقط الاغـلال الذهبيـة • يسقط القفص الذهبى •

خولة المـايسطرية : لا • لا • هـذه شيوعية • أنـا

شخصيا احب الاغلال الذهبية لانى احب الخلاخيل الذهبية والاسورة الذهبية والخواتم الذهبية والحلقان الذهبيـــة والعقود الذهبية ، وكل الاشياء المستديرة مادامت ذهبية ٠

شجرة اللولى : طبعـا هـذه شيوعية ، ونحن اعـــداء الشيوعية ، مادام الرجال يحبون الاقفاص الذهبية فلابـــد من اقفاص ذهبية ولكن المهم ان تكون قضبانها سميكة عيار ٢٤ وواسعة بحيث يخرج العصفور ويـدخل كما يشاء ٠ المهم أن يرى الرجل المراة داخل القفص الذهبى ، أو على الاقـــل ان يتوهم انـه يراها ٠ ومـا دامت القضبان واسـعة فليس يهم بتـاتا ان اكون داخـل القفص أو خـارج القفص ، ومن أحاديث جـدتى عرفت ان المشكلة الحقيقية هى تزيين فكـرة القفص الذهبى فى عين الرجل حتى ينفق عليه كل ماله ويجمد ثروته فى قضبانه الذهبية : عندئـذ يصبح الرجل ، لا المراة هـو اسير القفص كما تتفرج النمرة فى جنينة الحيوانات على الاطفال من وراء القضبان ٠ انـا شخصيا اكتشفت ان اللولى أغلى من الذهب ، وقفصى كلـه من اللولى ٠٠٠ يا حلولى ٠

صانع الاقنعة : كفى نقاشا ٠ لقـد استمعنا لاهـــم الآراء ٠ والآن السؤال هـو ، للمرة الثانية ، هل المراة اليـوم أحـط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو ارقى منها !

المعلم العاشر : انـا معترض على طرح القضـــية على هـذا الوجـه ٠

صانع الاقنعة : على اى وجـه تحب ان تطرحها ؟

على الزيبق الجوكى : لقـد اثبت كل الخبراء بالاسانيد

التاريخية والحسابية والثقافية والاقتصـــادية ان العصر الذهبى خرافة رجعية ابتكرها تحالف الاقطاع وراس المـال مع الاستعمار لابقـاء الشعوب المتخلفة فى تخلفها • فليـكن السؤال : هل هنـاك عصر ذهبى أو لا •

صانع الاقنعة : موافق • السؤال المطروح امامكم هو • هـل هنـاك عصر ذهبى أو لا ؟

الموافقون يقولون : احم ! احم ! والمعارضون يقولون مثـل الكشافة : يعيش !

وهنـا دوت القاعة بهتاف يصم الاذان يقول : يعيش ! يعيش • يعيش • ولـم يسمع آلا خمس أو ست أحمات • وكان الهتـاف قاطعا فلم يجرؤ احـد ان يطالب بعـد الاحمات •

صانع الاقنعة : نفهم من هـذا أن ادبـاء مصر فى عهد الثورة يرفضون فكرة العصر الذهبى ويعدونها خرافة رجعية ننتقل الى القضية الثانية وهى : ان نساء الامس كن افضل من نسـاء اليوم •

الايديولوجى الفهلوى : ماذا تقصـد بأفضل ؟

صانع الاقنعة : اقصـد محصنات اكثر • يعنى بالبلدى أكثـر عفـة •

مجاهـد بن الشماخ : على وجـه اليقين • على وجـه اليقـين •

المعلم العاشر : بعـد كل ما قيل عن بلاج جلجل وحبال الفرزدق وتنكرات ابن ابى ربيعة وأورانية اليونان ومأخور مساليا واستريب تيز الامبراطورة ثيودورا ؟

صانع الاقنعة : خـذوا الاصوات بنفس الطريقـة ٠ الموافقون يقولون : احم ! ٠ والمعارضون يقولون : يعيش :

وللمرة الثانية ارتفع دوى هـائل يقـول : يعيش ! يعيش ! يعيش ٠ وغرقت الاحمات فى هـدير اليعيشـات ٠ ولكن الـذى لفت النظر ان اصوات الاحمات كانت دائمـا يتخللهـا رنين اصوات النساء من اديبات مصر ، فقـد كـن اشـد من الرجال حماسة للعصر الذهبى ٠

صانع الاقنعة : اذن فادباء مصر فى عهـد الثورة يرون ان نساء الامس لـم يكن اكثر عفـة من نساء اليـوم ٠

على الزيبق الجوكى : هـذا غير كاف ٠ أنـا اطلـب التصويت على القضية الآتية : ان نساء الامس كن « اقل » عفـة من نساء اليوم ٠

صانع الاقنعة : ربما كان هـذا صحيحا ، ولكن لا داعى للاستفزاز يـا على الزيبق ٠ يكفى اننـا انقذنا سمعة المراة المصرية فى القرن العشرين ٠ ثـم لا تنس ان نساء الامس هن جداتنـا كما أن نساء اليـوم هن زوجاتنا ٠ ونقص عفـة جـداتنا يصيبنا نحن فى مقتل ٠ ويكفى اننـا بشهادة المؤرخين وعلماء الانثروبولوجيا والاثنولوجيا اكتشفنا حقيقة خطيـرة وهى أنه فى جميع حضارات العالم القديم ، كانت المراة المصرية أولا ثم المراة العربية ثانيا تتمتع بحقوق الانسان (الحرية ٠ المساواة ٠ الاخاء) وبحقوق الحيوان (المأكل ٠ الملبس ٠ المسكن الفراش) أكثر من المراة فى بابل واشور واليونان القديمـة وروما ٠ وليكن هـذا اجمل ختام لاجمل جلسات جلستموها

امتزجت فيهـا المتعة بالفائدة • واسمحوا لى ايهـا السادة ان ارفع الجلسة وافض هـذه الـدورة الاولى لهـذا المؤتمر الاول لادبـاء مصر وفنانيها • وسأحـدد لكم موعـد الـدورة الثانيه ، ولكنهـا لن تكون قبـل شهور طويلة • واقترح ان يكون جـدول الاعمال فى الـدورة القادمة هو « نظم الحـكم بين القـديم والجـديد » الا اذا جاءتنى اعتراضات كافيـة من الاعضاء • والى أن يحين الحين : ارفـع الجلسة واعلن انتهـاء الـدورة الاولى للمؤتمر • وفقكم اللـه لمـا فيـه نصر الفنون والآداب والعلوم الانسانية • وشكرا •

وهنـا دوت القاعه بالتصفيق • وانصرف الحاضرون زرافات ووحـدانا بعضهم يصهلل وبعضهم يجمجم وبعضهم يحمحم • ولكن كثرتهم الغالبة انصرفت وهى تبتسـم فى طمأنينة المراهق الـذى اكتشف فجأة ان شاربه قـد اخضر بحيث يستطيع أن يعبث فيـه ويزهو به • وتفرقوا بـين فترينـات شارعى سليمان باشا وقصر النيل ، كل يبحث عن هـدية لزوجته تنفيـذا لقرارات المؤتمر الذى بـرأ نسـاء مصر من ذلة الاماء ومن خلاعة القيان : علبة بانكيك أو قـلم احمر شفايف أو زجـاجة بارفان ، بعـد ان تأكـدوا من ان رجـال العرب فى العصر الذهبى كانوا يهدون لزوجاتهم أدوات الزينة ، حتى عـز الدين ايدمـر المحيوى والخشداش ايواظ وأغاطبوزادة وأبو سنة ذهب لولى دخلوا جمـاعة الى دكـان هانو واشترى كل منهم لزوجته فستان سهرة من موضـة اللامعقول استنادا الى ما قالته كتب العرب عن المتجـردة

زوجـة النعمان بن المنـذر • وأمـا ابو الفتوح الصباح فقد جره المجاهـد بن الشماخ قائلا : اسمع يـا اخى • طبعـا نحن لن ننفـذ قرارات المؤتمر • يجب ان نتوارى عن العيـون حتى يرتفع هـذا البلاء • هـذا ما جرته علينـا وثنية اليونان وصليبية البابوات وبلشفية المعاصرين وجاهلية القـرن العشرين •

« انتهـى »

المـؤلف

١ ـ The Theory and Practice of Poetic Dicti on.
M. Litt. Dissertation, Cambridge University.

٢ ـ « فن الشعر » لهوارس • الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ • (كتب فى كامبريدج ١٩٣٨) • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العـامة للتأليف والنشـر القاهـرة ١٩٧٠ •

٣ ـ « بروميثيوس طليقا » للشاعر شلى • الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهـرة ، ١٩٤٦ • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العـامة للكتاب ، القاهـرة ١٩٨٦ •

٤ ـ « صورة دوريان جراى » لاوسكار وايلد • الناشر: دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٦ • الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ •

٥ ـ « شبح كانترفيل » لاوسكار وايلد • الناشر : دار الكاتب المصرى ، القاهـرة ، ١٩٤٦ •

٦ ـ « بلوتولاند » وقصائد أخـرى : « من شعـر الخاصة » • الناشر : مطبعة الكرنك ، القاهرة ، ١٩٤٧ •
(نظـم بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ بكامبريدج) •

٧ ـ « فى الأدب الانجليزى الحديث » • الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهـرة ، ١٩٥٠ • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العـامة للكتاب ، ١٩٨٦ •
(بحوث نشر أكثرها فى مجلة الكاتب المصرى خـلال ١٩٤٦ و ١٩٤٧) •

٨ ـ Studies in Literature, Anglo - Egyptian Bookshop, Cairo, 1954.

٩ ـ « خاب سعى العشاق » لشكسبير • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ١٩٦٧ (ترجمت ١٩٥٥) •

١٠ ـ « دراسات فى أدبنا الحديث » • الناشر : دار المعرفة • القاهرة ، ١٩٦١ • (بحوث نشر أكثرها فى جـريدة « الجمهورية » عـام ١٩٥٤ وفى جريدة « الشعب » خـلال ١٩٥٧ و ١٩٥٨) •

١١ ـ « الراهب » : مسرحية تاريخية • الناشر : دار ايزيس ، القاهرة ، ١٩٦١ •

١٢ ـ « دراسات فى النظم والمذاهب » • الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٢ • الطبعة الثانية : دار الهـلال ، القاهرة ، ١٩٦٧ •

١٣ ـ « المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث » الجـزء الأول : « قضية المـرأة » الناشر : معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٢ • (محاضرات ألقيت على طلبة المعهـد) •

١٤ ـ « المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث » الجـزء الثانى : « الفكر السياسى والاجتماعى » الناشر :

معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٣ • الطبعة الثانية • الناشر : دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٤ • (محاضرات ألقيت على طلبة المعهد) •

١٥ ـ « الاشتراكية والأدب » • الناشر : دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٣ • الطبعة الثانية : دار الهلال القاهرة ، ١٩٦٨ • (بحوث نشرت فى « الجمهورية » خلال ١٩٦١ وفى « الأهرام » خلال ١٩٦٢ و ١٩٦٣) •

١٦ ـ « الجامعة والمجتمع الجديد » • الناشر : الدار القومية، القاهرة ، ١٩٦٤ •

١٧ ـ « دراسات فى النقدوالأدب » • الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٤ • الطبعة الثانية : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

١٨ ـ The Theme of Prometheus in English and French Literature (Ph. D. Dissertation, Princeton University, 1953). Ministry of Culture, Isis House, Cairo, 1963.

١٩ ـ « المسرح العالمى » • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ •

٢٠ ـ « البحث عن شكسبير » • الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٢١ ـ « نصوص النقد الأدبى عند اليونان » • الناشر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

٢٢ ـ « مذكرات طالب بعثة » • الناشر : روز اليوسف سلسلة الكتاب الذهبى ، القاهرة ، ١٩٦٥ • (كتبت فى ١٩٤٢)

٢٣ ـ « دراسات عربية وغربية » • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

٢٤ ـ « على هامش الغفران » الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ •

٢٥ ـ « العنقاء : أو تاريخ حسن مفتاح » الناشر : دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ (رواية كتبت بين القاهرة وباريس بين ١٩٤٦ و ١٩٤٧) •

٢٦ ـ « أجاممنون » لاسخيلوس • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٦ •

٢٧ ـ « المحاورات الجديدة : أو دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » • الناشر : دار روز اليوسف ، القاهرة ، ١٩٦٧ • الطبعة الثانية : دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ١٩٨٦ •

٢٨ ـ « الثورة والأدب » • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ • الطبعة الثانية : دار روز اليوسف

٢٩ ـ « انطونيوس وكليوباترا » لشكسبير • الناشر: دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ •

٣٠ ـ « حاملات القرابين » • لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٣١ ـ « أسطورة اوريست والملاحم العربية » • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٣٢ ـ « الصافحات » لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ •

٣٣ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » : من الحملة الفرنسيه الى عصر اسماعيل • (جزءان) • الناشر : دار

الهـلال ، القاهـرة ، ١٩٦٩

٣٤ ـ « الجنون والفنون فى اوروبا ٦٩ » • الناشر : دار الهـلال ، القاهرة ، ١٩٧٠

٣٥ ـ « دراسات أوروبية » • الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧١ •

٣٦ ـ « الحـرية ونقد الحرية » • الناشر : مؤسسة التاليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ •

٣٧ ـ « الـوادى السـعيد » • الناشر : لصموئيل جونسون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ •

٣٨ ـ « رحلة الشرق والغرب » • الناشر : دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٢ •

٣٩ ـ « ثقافتنا فى مفترق الطرق » • الناشر : دار الأداب ، بيروت ، ١٩٧٤ •

٤٠ ـ « أقنعة الناصرية السبعة » • الناشر : دار القضايا بيروت : الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٦ : الطبعـة الثانية ، القاهـرة ، ١٩٧٦ •

٤١ ـ « لمصر والحرية » • الناشر : دار القضـايا ، بيروت ، ١٩٧٧ •

٤٢ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الآول : الخلفية التاريخية : الجـزء الأول) • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ •

٤٣ ـ « مقدمة فى فقـه اللغـة العربية » • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ •

٤٤ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصـر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الأول : الخلفية التاريخية،

الجـزء الثانى) • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ •

٤٥ ـ « تاريخ الفـكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الثانى : الفكر السياسى والاجتماعى) الجـزء الثـالث ، الناشر : مكتبـة مدبولى القاهرة ١٩٨٦ •

٤٦ ـ « اقنعة أوروبية » • الناشر : دار ومطـابع المستقبل ، القاهـرة ١٩٨٦ •

رقـم الايـداع
٨٦/٣٨٢٩

مطبعـة الطـويل
٤٧ شارع نظيف ـ روض الفـرج
تليفون : ٩٤٠٨٧٩

To: www.al-mostafa.com